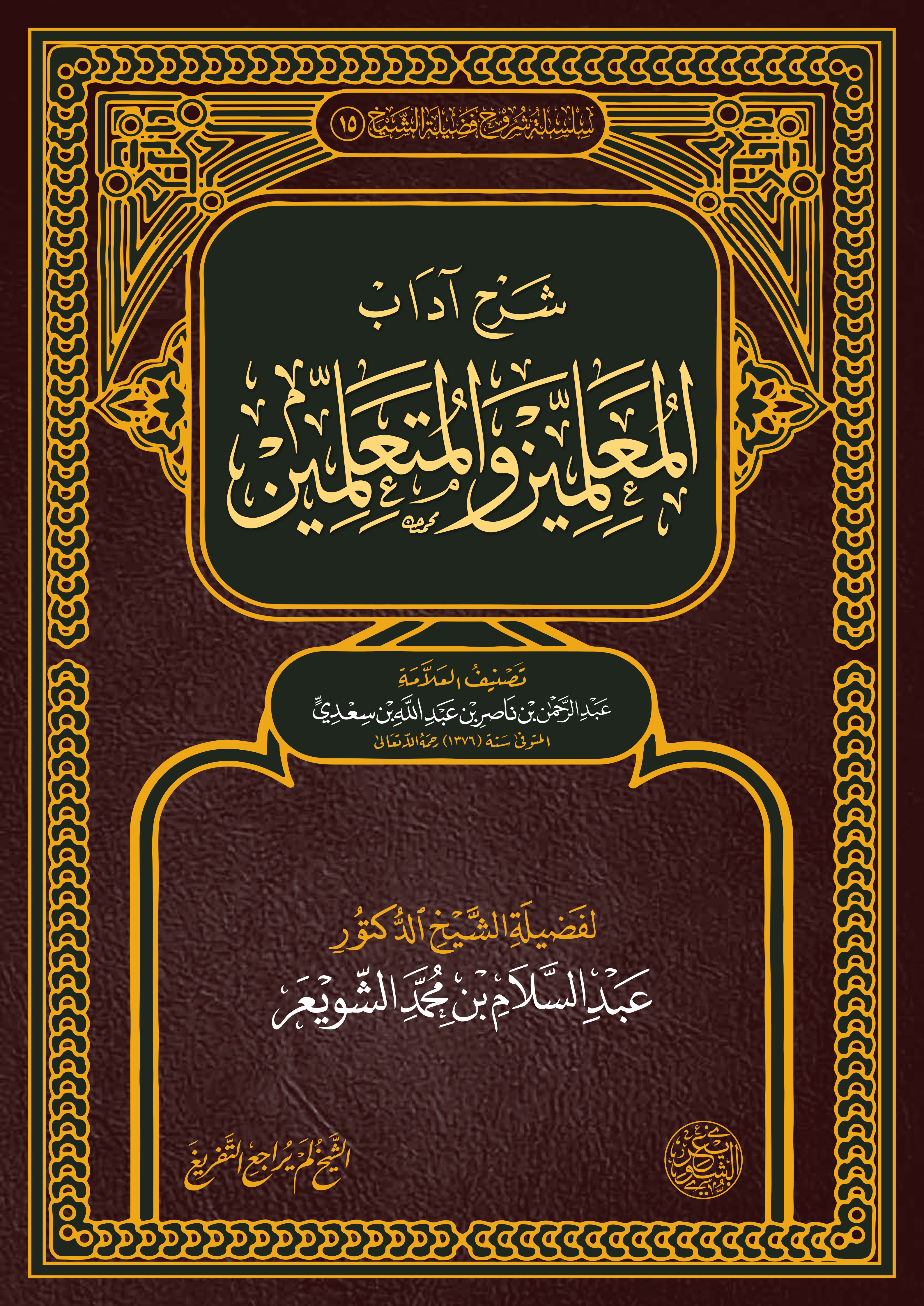


سلسلة شروح فضيلة الشيخ (١٥)
شرح آداب
المعلمين والمتعلمين
تصنيف العلامة
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي
المتوفى سنة (١٣٧٦) رحمه الله تعالى
لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر
الشيخ لم يراجع التفريغ



شرح آداب

المعلمين والمتعلمين

alshuwayer9











للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة شروح فضيلة الشيخ (١٥)

شرح آداب
المعلمين والمتعلمين

تصنيف العلامة
عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن سعدي
المتوفى سنة (١٣٧٦) رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى





الحمد لله ربّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

فإنَّنا في هذا العصر بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ سنجتمع لقراءة هذه الرّسالة اللّطيفة؛ المعنونة بـ: **«فَائِدَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى آدَابِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ»، للشّيخ عبد الرّحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.**

وقبل أن يبدأ القارئُ في قراءة ما سطَّره الشّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تعَالَى، سأذكر مقدِّمة تتعلّق بهذا الفنِّ العظيم؛ وهو: **آداب المعلِّمين والمتعلِّمين.**

العلمُ له أدبٌ ولا بُدَّ من معرفة هذا الأدب، وقد ذكر أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أنّ من لم يتعلّم أدب العلم قد يُحرم العلم، ومثَّلوا لذلك ببعض أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ذكروا عنه أنَّه حُرِم علمًا كثيرًا بسبب عدم حُسن أدبه وتلطُّفه؛ **أي:** بسبب عدم تلطُّفه مع ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تحصيله العلم، وبسبب صيغة سُؤاله ففاته علمٌ كثيرٌ.

فالمقصـــود أنّ الأدب معرفته واكتســابه وتحصــيله طريقٌ لتحصــيل العلم ومعرفته، ولأجل ذلك تكلّم أهل العلم في أهميّة البداءة بأدب العلم للمعلِّم والمتعلِّم معـًا، حتّى **قال عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: «نحنُ في حاجةٍ للأدبِ أكثر من حاجتنا للعلم»، أو نحوًا ممَّا قال عبد الله بن المبارك.

فالمقصـــود من هذا أنَّ كلام أهل العلم في حاجة المتعلِّم لأدب العلم كثيرةٌ، وكلامهم كثيرٌ ومُتقدِّمٌ كذلك، وقد جمع جماعةٌ من أهل العلم كلام المتقدِّمين **مثل** ابن عبد البرِّ في كتابه العظيم الجليلِ «جامع بيان العلمِ وفضلهِ».

ومنهم كذلك الخطيب البغدادي في عددٍ من كُتبه؛ بل إنّه نشر كلام السّـلف في عددٍ من كُتبه كـــ «الكِفاية»، و«الفقيه والمتفقِّه»، وفي غيرها من الكُتب الكثيرة له في هذا البابِ.

ومثلهمُ السّمعاني في «أدبِ الإملاءِ والاستملاءِ».

وعندما نبحثُ عن مســائل الأدب للمتعلِّم والمتعلِّمِ فإنّنا نجد المؤلفين فيها **على صنفين:**

۞ الصّنف الأوّلُ: من يتكلّمُ عن هذه الآداب على سبيل التّبع

بمعنى: أنّه يذكر أحكام الآداب عمومـًا، ثُمّ يورد أثناء ذلك بعضـًا من أحكام

وتفاصيل الآداب المتعلِّقةِ بالمتعلِّم والمُعلِّمِ.

وهذه طريقة أغلب من كتب في الأدب؛ أي: الآداب الشّرعية، سواءً على سبيل الابتداء كـ «الألفية في الآداب» لابن عبد القَويِّ، وبعدها «الآداب الشّرعية» لابن مفلح، ومن كتب في الآداب من كثيرٍ من أهل العلم، أو من جعلها ضمن كتابٍ مثل من يجعلُ أحكام الآدابِ باباً مُستقلّاً من أبواب الفقهِ؛ وهذه طريقةٌ مشهورةٌ عند المالكية والحنابلة.

۞ الصنف الثّاني: أنّ هناك من اهل العمل من أفرد كُتباً مفردةً في أدب المُعلِّم والمتعلِّم

ومن أوّل من كتب في ذلك بحسب ما أعلم ورُبّما كان قبله من لا أعلم: **محمدُ بن سُحْنُون** الفقيه المالكي الجليلِ القدرِ، الواسع الاطلّاع، وعبّرتُ بسعة الاطلّاع لأنّهُ قال كلمةً جميلةً، قال: «لا أعلمُ خلافاً لأهل زماني ومن قبلهُ إلّا وقد علمتهُ»، وهذا يدلُّ على سعة علمه بالفقهِ؛ فإنَّ من علم الخلاف فقد علم الفقهَ، ولذا فإنّه أحد أساطين مذهب أصحاب الإمام مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى.

محمدٌ بن سحنون كتابه من أوّل ما وصلنا كاملًا في أدب المتعلِّم والمعلِّمِ.

ثُمّ جاء بعدهُ جماعةٌ من أشهرهم أبو الحسن القابِسي أيضاً من أصحاب مالكٍ.

ثُمّ جاء الزَّرْنُوجِي من علماء القرن السّادس الجري تقريباً أو أوّل السّابع.

ثُمّ تكاثرت الكتب، وكَثُر التّصنيف فيها وخاصةً عندما نشأتِ المدارس وأصبح تنظيم المدارس بدءًا من عهد نظام الملك في الدولة السَّلْجوقِية ومن أشهر من جمع كل ما في الباب ابن جماعة في كتابه «التَّذكرة» المشهور الذي اختُصر اختصاراتٍ متعدِّدة.

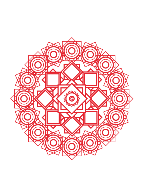
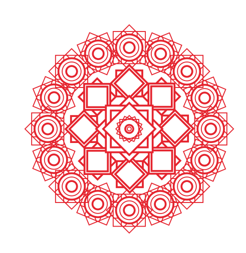
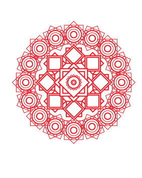
أنا قصدي من هذا أن نعلم أنّ هذا الفن الذي نقرأ فيه المؤلفات فيه كثيرةٌ؛ إمّا على سبيل الانفرادِ، وإمَّا على سبيل التّبع، وهذا المُفرد من مدارس شتَّى وطُرقهُ مختلفةٌ، وبعضهم يكون نثرًا وبعضهم يكون نظمًا، وبعضهم ينقلُ قول من سبقه من طريقة الآثار والنُّقول، وبعضهم يبتدئُ بذكر النَّصائح والإرشادات في هذا الباب.

ومن الرّسائل اللّطيفة التي تفضل فيها الإخوة القائمون على هذا الدّرس، باختياره هذه الرّسالة اللّطيفة التي كتبها الشّيخ عبد الرحمن.

والحقيقة أنَّ هذه الرّسالة لطيفةٌ في ألفاظها، يظهر أنَّ كاتبها كتبها لمن يُحِبُّ وهذا واضحٌ، فإنَّه كتبها نصيحة؛ يبدو لبعض طلابه، ذكر فيها خُلاصة تجربته في التَّدريس وفي التَّحصيل قبل ذلك، وبيَّن فيها كثيرًا من الآدابِ.

وميزة هذه الآداب التي أوردها الشّيخ أنَّ مؤلِّفها قريب العصر من زماننا، وكثيرٌ ممَّا يذكره في هذه الرِّسالة نحن نَحسُّ به ونشعر به، ويمكن تنزيله على ما نحن فيه لأنَّ بعض طرق التَّعلُّم السَّابقة في القرون الأولى رُبَّما انقطعت هذه

الطُّرق في التَّعلم، فأصــبح بعضـــاً مما يذكر في آداب التعلُّم عند المتقدمين لا يمكن تنزيله على أحوالنا في هذا الوقتِ.

المَتْنُ

فَائِدَةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى نُبْذَةٍ مِنْ آدَابِ الْمُعَلِّمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ

يَتَعَيَّنُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ مِنَ المُعَلِّمِينَ وَالمُتَعَلِّمِينَ أَنْ يَجْعَلُوا أَسَاسَ أَمْرِهِمْ؛ الذِي يَبْنُونَ عَلَيْهِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ الإِخْلَاصَ الكَامِلَ وَالتَقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِهَذِهِ العِبَادَةِ، التِي هِيَ مِنْ أَجَلِّ العِبَادَاتِ وَأَكْمَلِهَا وَأَنْفَعِهَا وَأَعَمِّهَا، وَيَتَفَقَّدُوا هَذَا الأَصْلَ الجَلِيلَ فِي كُلِّ دَقِيقٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَجَلِيلٍ.

فَإِنْ دَرَسُوا أَوْ دَارَسُوا، أَوْ بَحَثُوا أَوْ نَاظَرُوا، أَوْ أَسْمَعُوا أَوْ اِسْتَمَعُوا، أَوْ كَتَبُوا أَوْ حَفِظُوا، أَوْ كَرَّرُوا دُرُوسَهُمْ الخَاصَةَ، أَوْ رَاجَعُوا عَلَيْهَا أَوْ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ الكُتُبِ الأُخْرَى، أَوْ جَلَسُوا مَجْلِسَ عِلْمٍ، أَوْ نَقَلُوا أَقْدَامَهُمْ لِمَجَالِسِ العِلْمِ، أَوْ اِشْتَرُوا كُتُبًا أَوْ مَا يُعِينُ عَلَى العِلْمِ، كَانَ الإِخْلَاصُ للهِ وَاِحْتِسَابُ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ مُلَازِمًا لَهُمْ، لِيَصِيرَ اِشْتِغَالَهُم كُلَّهُ قُرْبَةً وَطَاعَةً وَسَيْرًا إِلَى اللهِ وَإِلَى كَرَامَتِهِ، وَلِيَتَحَقَّقُوا بِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ».

فَكُلُّ طَرِيقٍ حِسِيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ يَسْلُكُهُ أَهْلُ العِلْمِ يُعِينُ عَلَى العِلْمِ أَوْ يُحَصِّلُهُ؛ فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي هَذَا.

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا فَيَتَعَيَّنُ البُدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ مِنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَةِ، وَمَا يُعِينُ عَلَيْهَا مِنْ عُلُومِ العَرَبِيَّةِ، وَتَفْصِيلِ هَذِهِ الجُمْلَةِ مَعْرُوفٌ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَ أَقْرَبُ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى المَطْلُوبِ الذِي قَصَدَهُ، وَأَنْ يَنْتَقِي مِنْ مُصَنَّفَاتِ الفَنِّ الذِي يَشْتَغِلُ فِيهِ أَحْسَنَهَا وَأَوْضَحَهَا وَأَكْثَرَهَا فَائِدَةً، وَيَجْعَلَ جُلَّ هَمِّهِ وَاشْتِغَالِهِ بِذَلِكَ الكِتَابِ حِفْظًا عِنْدَ الإِمْكَانِ، أَوْ دِرَاسَةَ تَكْرِيرٍ، بِحَيْثُ تَكُونُ المَعَانِي مَعْقُولَةً لَهُ مَحْفُوظَةً، ثُمَّ لَا يَزَالُ يُكَرِّرُ مَا مَرَّ عَلَيْهِ وَيُعِيدُهُ.

وَعَلَى المُعَلِّمِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى ذِهْنِ المُتَعَلِّمِ وَقُوَّةِ اِسْتِعْدَادِهِ أَوْ ضَعْفِهِ، فَلَا يَدَعهُ يَشْتَغِلُ بِكِتَابٍ لَا يُنَاسِبُ حَالَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ عَدَمِ النُّصْحِ، فَإِنَّ القَلِيلَ الذِي يَفْهَمُهُ وَيَعْقِلُهُ خَيْرٌ مِنَ الكَثِيرِ الذِي هُوَ عُرْضَةٌ لِعَدَمِ الفَهْمِ وَالنِّسْيَانِ، وَكَذلِكَ يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ التَّوْضِيحِ وَالتَّقْرِيرِ لِدَرْسِهِ بِقَدْرِ مَا يَتَّسِعُ فَهْمُهُ لِإِدْرَاكِهِ، وَلَا يَخْلِطُ المَسَائِلَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَلَا يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ المَسَائِلِ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ حَتَّى يَتَصَوَّرَ وَيُحَقِّقَ السَّابِقَ؛ فَإِنَّهُ دَرَكٌ لِلسَّابِقِ وَلْيَتَوَفَّرَ فَهْمُهُ عَلَى اللَّاحِقِ.

فَأَمَّا إِذَا أَدْخَلَ المَسَائِلَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ قَبْلَ فَهْمِ المُتَعَلِّمِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِإِضَاعَةِ الأَوَّلِ وَعَدَمِ فَهْمِ اللَّاحِقِ، ثُمَّ تَتَزَاحَمُ عَلَيْهِ المَسَائِلُ التِّي لَمْ يُتَحَقِّقْهَا فَيَمَّلُهَا وَيَضِيقُ عَطَنُهُ عَنْ العَوْدِ عَلَيْهَا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُهْمِلَ هَذَا الأَمْرَ.

وَعَلَى المُعَلِّمِ النُّصْحُ لِلْمُتَعَلِّمِ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالصَّبْرِ عَلَى عَدَمِ إِدْرَاكِهِ، وَعَلَى عَدَمِ أَدَبِهِ وَجَفَائِهِ، مَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى مَا يَقَوِّمُهُ وَيُحَسِّنُ أَدَبَهُ، لِأَنَّ المُتَعَلِّمَ لَهُ حَقٌّ عَلَى المُعَلِّمِ حَيْثُ أَقْبَلَ عَلَى العِلْمِ الذِي يَنْفَعُهُ وَيَنْفَعُ النَّاسَ، وَحَيْثُ تَوَجَّهَ لِلْمُعَلِّمِ دُونَ غَيْرِهِ، وَحَيْثُ كَانَ مَا يَحْمِلُهُ مِنَ العِلْمِ هُوَ عَيْنُ بِضَاعَةِ المُعَلِّمِ يَحْفَظُهَا وَيُنَمِّيهَا، وَيَطْلُبُ بِهَا المَكَاسِبَ الرَّابِحَةَ، فَهُوَ الوَلَدُ الحَقِيقِيُّ لِلمُعَلِّمِ الوَارِثُ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ [مريم: ٥ - ٦].

وَالمُرَادُ وِرَاثَةُ العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، فَالمُعَلِّمُ مُثَابٌ مَأْجُورٌ عَلَى نَفْسِ تَعْلِيمِهِ، سَوَاءٌ فَهِمَ أَوْ لَمْ يَفْهَمْ، فَإِذَا فَهِمَ مَا عَلِمَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ بِنَفْسِهِ وَنَفَعَ غَيْرَهُ كَانَ أَجْرًا جَارِيًا لِلْمُعَلِّمِ مَا دَامَ ذَلِكَ النَّفْعُ مُتَسَلْسِلًا مُتَصِلًا، وَهَذِهِ تِجَارَةٌ بِمِثْلِهَا يَتَنَافَسُ المُوَفَّقُونَ، فَعَلَى المُعَلِّمِ أَنْ يَسْعَى سَعْيًا شَدِيدًا فِي إِيجَادِ هَذِهِ التِّجَارَةِ وَتَنْمِيَتِهَا، فَهِيَ مِنْ عَمَلِهِ وَآثَارِ عَمَلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾ [يس: ١٢]. فـ ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾: مَا بَاشَرُوا عَمَلَهُ، ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡ﴾: مَا تَرَتَّبَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنْ المَصَالِحِ وَالمَنَافِعِ أَوْ ضِدِّهَا.

وَلْيُرَغِّبِ المُتَعَلِّمَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَلَا يُمِلَّهُ بِاشْتِغَالِهِ بِمَا يَعْسُرُ عَلَى فَهْمِهِ مِنْ أَنْوَاعِ العُلُومِ وَمُفْرَدَاتِهَا.

وَعَلَى الْمُتَعَلِّمِ أَنْ يُوَقِّرَ مُعَلِّمَهُ وَيَتَأَدَّبَ مَعَهُ حَسْبَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِمَا لَهُ مِنَ الحَقِّ العَامِّ وَالخَاصِ:

أَمَّا العَامُّ فَإِنَّ مُعَلِّمَ الخَيْرِ قَدْ اِسْتَعَدَّ لِنَفْعِ الخَلْقِ بِتَعْلِيمِهِ وَفَتْوَاهُ، فَحَقُّهُ عَلَى النَّاسِ حَقُّ المُحْسِنِينَ، وَلَا إِحْسَانَ أَعْظَمَ وَأَنْفَعَ مِنْ إِحْسَانِ مَنْ يُرْشِدُ النَّاسَ لِأَمْرِ دِينِهِمْ، وَيَعْلِّمَهُمْ مَا جَهِلُوا وَيُنَبِهَهُمْ لِمَا غَفَلُوا، وَيَحْصُلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الخَيْرِ، وَانْقِمَاعِ الشَّرِ وَنَشْرِ الدِّينِ وَالمَعَارِفِ النَّافِعَةِ، مَا هُوَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْمَوْجُودِينَ وَمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ ذُرِّيَتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ.

فَلَوْلَا العِلْمُ كَانَ النَّاسُ كَالبَهَائِمِ فِي ظُلْمَةٍ يَتَخَبَّطُونَ، وَفِي غَيِّهِمْ يَعْمَهُونَ، فَهُوَ النُّورُ الذِي يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَالحَيَاةُ لِلْقُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ وَالدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَالبَلَدُ الذِي لَيْسَ فِيهِ مَنْ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ لِمَا يَنْتَابُهُمْ مِمَّا هُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ، لَا خَيْرَ فِي الإِقَامَةِ فِيهِ. فَمَنْ هَذَا إِحْسَانُهُ وَأَثَرُهُ كَيْفَ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَحَبَّتُهُ وَتَوْقِيرُهُ وَالقِيَامُ بِحُقُوقِهِ؟

وَأَمَّا حَقُّهُ الخَاصُّ عَلَى المُتَعَلِّمِ فَلِمَا بَذَلَهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، وَالْحِرْصِ عَلَى مَا يُرْشِدُهُ وَيُوصِلُهُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، فَلَيْسَ نَفْعُ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ نَظِيرًا لِنَفْعِ المُعَلِّمِينَ المُرَبِّينَ لِلنَّاسِ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، البَاذِلِينَ نَفَائِسَ أَوْقَاتِهِمْ وَصَفْوَةَ أَفْكَارِهِمْ فِي تَفْهِيمِ المُسْتَرْشِدِينَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَوَسِيلَةٍ يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا، وَإِذَا كَانَ مِنْ أَحْسَنَ إِلَى الإِنْسَانِ بِهَدِيَّةٍ مَالِيَةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا، ثُمَّ تَذْهَبُ وَتَزُولُ، لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَى المُحْسَنِ إِلَيْهِ، فَمَا الظَّنُّ بِهَدَايَا العِلْمِ النَّافِعِ الكَثِيرَةِ المُتَنَوِّعَةِ؛ البَاقِي نَفْعُهَا مَا دَامَ الْعَبْدُ حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ المُتَسَلْسِلُ بِحَسْبِ حَالِ تِلْكَ الهَدَايَا، فَحِينَئِذٍ يَعْرِفُ حَقَّهُ وَيُوَقِّرُهُ وَيُحْسِنُ الأَدَبَ مَعَهُ.

وَلَا يَخْرُجُ عَنْ إِشَارَتِهِ وَإِرْشَادِهِ، وَلْيَجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَأَدِّبًا، وَيُظْهِرُ غَايَةَ حَاجَتِهِ إِلَى عِلْمِهِ، وَيَدْعُو لَهُ حَاضِرًا وَغَائِبًا، وَإِذَا أَتْحَفَهُ بِفَائِدَةٍ وَتَوْضِيحٍ لِعِلْمٍ فَلَا يُظْهِرُ لَهُ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَارِفًا لَهُ، بَلْ يُصْغِي إِلَيْهِ إِصْغَاءَ الْمُتَطَلِّبِ بِشِدَّةٍ إِلَى الْفَائِدَةِ، هَذَا فِيمَا يَعْرِفُهُ؟! فَكَيْفَ بِمَا لَا يَعْرِفُهُ؟ وَلِهَذَا كَانَ هَذَا الْأَدَبُ مُسْتَحْسَنًا مَعَ كُلِّ أَحَدٍ فِي الْعُلُومِ وَالْمُخَاطَبَاتِ وَفِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

وَإِذَا أَخْطَأَ الْمُعَلِّمُ فِي شَيْءٍ فَلْيُنَبِّهْهُ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ بِحَسْبِ الْمَقَامِ، وَلَا يَقُولُ لَهُ: أَخْطَأْتَ، أَوْ لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ، بَلْ يَأْتِي بِعِبَارَةٍ لَطِيفَةٍ يُدْرِكُ بِهَا الْمُعَلِّمُ خَطَأَهُ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَشَوَّشَ قَلْبُهُ، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْحُقُوقِ اللَّازِمَةِ، وَهُوَ أَدْعَى لِلْوُصُولِ إِلَى الصَّوَابِ، فَإِنَّ الرَّدَّ الَّذِي يَصْحَبُهُ سُوءُ الْأَدَبِ، وَانْزِعَاجُ الْقَلْبِ يَمْنَعُ مِنْ تَصَوُّرِ الصَّوَابِ مِنْ قَصْدِهِ.

وَكَمَا أَنَّ هَذَا لَازِمٌ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ، فَعَلَى الْمُعَلِّمِ إِذَا أَخْطَأَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَمْنَعُهُ قَوْلٌ قَالَهُ ثُمَّ رَأَى الْحَقَّ فِي خِلَافِهِ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحَقِّ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ هَذَا عَلَامَةُ الْإِنْصَافِ وَالتَّوَاضُعِ لِلْحَقِّ، فَالوَاجِبُ اتِّبَاعُ الصَّوَابِ سَوَاءٌ جَاءَ عَلَى يَدِ الصَّغِيرِ أَوْ الكَبِيرِ.

وَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى الْمُعَلِّمِ أَنْ يَجِدَ مِنْ تَلَامِيذِهِ مَنْ يُنَبِّهُهُ عَلَى خَطَئِهِ وَيُرْشِدُهُ إِلَى الصَّوَابِ، وَيَزُولُ اسْتِمْرَارُهُ عَلَى جَهْلِهِ، فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى شُكْرِ اللهِ ثُمَّ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَجْرَى اللهُ الْهُدَى عَلَى يَدَيْهِ مُتَعَلِّمًا أَوْ غَيْرَهُ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَجِبُ لِلْمُعَلِّمِينَ أَنْ يَقُولُوا لِمَا لَا يَعْلَمُونَهُ: اللهُ أَعْلَمُ، وَلَيْسَ هَذَا بِنَاقِصٍ لِأَقْدَارِهِمْ، بَلْ هَذَا مِمَّا يَزِيدُ قَدْرَهُمْ، وَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى دِينِهِمْ وَتَحَرِّيهِمْ لِلصَّوَابِ.

وَفِي تَوَقُّفِهِ عَمَّا لَا يَعْلَمُهُ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ:

مِنْهَا: أَنَّ هَذَا هُوَ الوَاجِبُ عَلَيْهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا تَوَقَّفَ وَقَالَ: اللهُ أَعْلَمُ. فَمَا أَسْرَعَ أَنْ يَأْتِيَهُ عِلْمُ ذَلِكَ، إِمَّا مِنْ مُرَاجَعَتِهِ أَوْ

مُرَاجَعَةِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا رَأَى مُعَلِّمَهُ جَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِ عِلْمِهَا وَإِتْحَافِ الْمُعَلِّمِ بِهَا، فَمَا أَحْسَنَ هَذَا الأَثَرَ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا تَوَقَّفَ عَمَّا لَا يَعْرِفُ كَانَ دَلِيلًا عَلَى ثِقَتِهِ وَإِتْقَانِهِ فِيمَا يَجْزِمُ بِهِ مِنَ المَسَائِلِ، كَمَا أَنَّ مَنْ عُرِفَ مِنْهُ الإِقْدَامُ عَلَى الكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ؛ كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا لِلرَّيْبِ فِي كُلِّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ، حَتَّى فِي الأُمُورِ الوَاضِحَةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ المُعَلِّمَ إِذَا رَأَى مِنْهُ المُتَعَلِّمُونَ تَوَقُّفَهُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ؛ كَانَ ذَلِكَ تَعْلِيمًا لَهُمْ وَإِرْشَادًا إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الحَسَنَةِ، وَالاقْتِدَاءُ بِالأَحْوَالِ وَالأَعْمَالِ أَبْلَغُ مِنَ الاقْتِدَاءِ بِالأَقْوَالِ.

وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى هَذَا المَطْلُوبِ أَنْ يَفْتَحَ المُعَلِّمُ لِلْمُتَعَلِّمِينَ بَابَ المُنَاظَرَةِ فِي المَسَائِلِ وَالاحْتِجَاجِ عَلَيْهَا، وَأَنْ يَكُونَ القَصْدُ وَاحِدًا، وَهُوَ اتِّبَاعُ مَا رَجَّحَتْهُ الحُجَّةُ وَالأَدِلَّةُ، فَإِنَّهُ إِذَا جَعَلَ هَذَا الأَمْرَ نَصْبَ عَيْنَيْهِ وَأَعْيُنِهِمْ تَنَوَّرَتِ الأَفْكَارُ، وَعُرِفَتِ الْمَآخِذُ وَالْبَرَاهِينُ، وَاتُّبِعَتِ الحَقَائِقُ، وَكَانَ القَصْدُ الأَصْلِيُّ وَتَوَابِعُهُ مَعْرِفَةُ الحَقِّ وَاتِبَاعُهُ.

وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ التَّعَصُّبِ لِلأَقْوَالِ وَالْقَائِلِينَ؛ وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ الْقَصْدَ مِنَ الْمُنَاظَرَةِ نَصْرَ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ أَوْ قَالَهُ مَنْ يُعَظِّمُهُ، فَإِنَّ التَّعَصُّبَ مُذْهِبٌ لِلإِخْلَاصِ، مُزِيلٌ لِبَهْجَةِ العِلْمِ، مُعْمٍ لِلْحَقَائِقِ، فَاتِحٌ لِأَبْوَابِ الخِصَامِ وَالحِقْدِ، كَمَا أَنَّ الإِنْصَافَ هُوَ زِينَةُ العِلْمِ، وَعُنْوَانُ الإِخْلَاصِ وَالنُّصْحِ وَالفَلَاحِ.

وَلِيَحْذَرْ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ لِلأَغْرَاضِ الفَاسِدَةِ وَالمَقَاصِدِ السَّيِئَةِ؛ مِنَ الْمُبَاهَاةِ وَالْمُمَارَاةِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَسِيلَةً إِلَى الأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَةِ وَالرِّئَاسَةِ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ حَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ وَاسْتَعْمَلَهُ فِي أَغْرَاضِهِ السَّيِئَةِ أَوْ رِيَاءً أَوْ سُمْعَةً فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ.

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَعَيَّنُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ الاتِّصَافُ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ العِلْمُ مِنْ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ

وَالتَّعْلِيمِ، فَهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالِاتِّصَافِ بِالأَخْلَاقِ الجَمِيلَةِ، وَالتَّخَلِّي مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ، وَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالقِيَامِ بِالوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ وَتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ، لِمَا تَمَيَّزُوا بِهِ مِنَ العِلْمِ وَالمَعَارِفِ، التِّي لَمْ تَحْصُلْ لِغَيْرِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ قُدْوَةُ النَّاسِ فِي أُمُورِهِمْ وَلِأَنَّهُ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمْ مِنَ الِاعْتِرَاضِ وَالْقَوَادِحِ عِنْدَمَا يَتْرُكُونَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ العِلْمُ أَعْظَمُ مِمَّا يَتَطَرَّقَ إِلَى غَيْرِهِمْ.

وَأَيْضًا فَكَانَ السَّلَفُ يَسْتَعِينُونَ بِالْعَمَلِ عَلَى الْعِلْمِ؛ فَإِنْ عُمِلَ بِهِ اِسْتَقَرَّ وَدَامَ وَكَثُرَتْ بَرَكَتُهُ، وَإِنَّ تُرِكَ الْعَمَلُ بِهِ ذَهَبَ أَوْ عُدِمَتْ بَرَكَتُهُ، فَرَوْحُ العِلْمِ وَحَيَاتُهُ وَقَوَامُهُ إِنَّمَا هُوَ بِالقِيَامِ بِهِ عَمَلًا وَتَخَلُّقًا وَتَعْلِيمًا وَنُصْحًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

وَيَنْبَغِي سُلُوكُ الطَّرِيقِ النَّافِعِ عِنْدَ البَحْثِ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، فَإِذَا شَرَعَ المُعَلِّمُ فِي مَسْأَلَةٍ وَضَّحَهَا وَأَوْصَلَهَا إِلَى أَفْهَامِ المُتَعَلِّمِينَ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ التَّعْبِيرِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَالتَّصْوِيرِ وَالتَّحْرِيرِ، ثُمَّ لَا يَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا قَبْلَ تَحَقُّقِهَا وَتَفْهِيمِهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ، وَلَا يَدَعُ المُتَعَلِّمِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ المَوْضُوعِ الذِي لَمْ يَتِمَّ تَقْرِيرُهُ إِلَى مَوْضُوعٍ آخَرَ حَتَّى يُحْكِمُوهُ وَيَفْهَمُوهُ، فَإِنَّ الخُرُوجَ مِنَ المَوْضُوعِ إِلَى غَيْرِهِ قَبْلَ الِانْتِهَاءِ مِنْهُ يُشَوِّشُ الذِّهْنَ، وَيَحْرِمُ الفَائِدَةَ وَيَخْلِطُ المَسَائِلَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ.

وَيَنْبَغِي تَعَاهُدُ مَحْفُوظَاتِ المُتَعَلِّمِينَ وَمَعْلُومَاتِهِمْ بِالإِعَادَةِ وَالِامْتِحَانِ، وَالحَثِّ عَلَى المُذَاكَرَةِ وَالمُرَاجَعَةِ وَتَكْرَارِ الدَّرْسِ، فَإِنَّ التَعَلُّمَ بِمَنْزِلَةِ الْغَرْسِ لِلْأَشْجَارِ، وَالدَّرْسُ وَالمُذَاكَرَةُ وَالإِعَادَةُ بِمَنْزِلَةِ السَّقْيِ لَهَا وَإِزَالَةِ الأَشْيَاءِ المُضِرَّةِ لِتَنْمُو وَتَزْدَادَ عَلَى الدَّوَامِ.

وَكَمَا أَنَّ عَلَى المُتَعَلِّمِ تَوْقِيرَ مُعَلِّمِهِ وَالأَدَبَ مَعَهُ، فَكَذَلِكَ أَقْرَانُهُ فِي التَّعَلُّمِ مَعَهُ؛ عَلَيْهِ تَوْقِيرُهُمْ وَاحْتِرَامُهُمْ. فَالصُّحْبَةُ فِي طَلَبِ العِلْمِ تَجْمَعُ حُقُوقًا كَثِيرَةً؛ لِأَنَّ لَهُمْ حَقَّ الأُخُوَّةِ وَالصُّحْبَةِ، وَحَقَّ الِاحْتِرَامِ لِمَا قَامُوا بِهِ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَنْفَعُ النَّاسَ؛ وَهُوَ الِانْتِمَاءُ إِلَى مُعَلِّمِهِمْ، وَأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِهِ، وَحَقَّ نَفْعِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَلَّا يَدَعَ مُمْكِنًا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْعِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى نَفْعِهِ مِنْهُمْ مِنْ تَعْلِيمِهِ مَا يَجْهَلُ، وَالبَحْثِ مَعَهُ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الخَيْرِ وَإِرْشَادِهِ لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ غَنِيمَةً يَتَعَلَّمُ فِيهِ القَاصِرُ مِمَّنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَيُعَلِّمَ العَارِفُ غَيْرَ العَارِفِ، وَيَتَطَارَحُونَ المَسَائِلَ النَّافِعَةَ، وَلْيَجْعَلُوا هَمَّهُمْ مَقْصُورًا عَلَى مَا هُمْ بِصَدَدِهِ، وَلْيَحْذَرُوا مِنَ الاشْتِغَالِ بِالنَّاسِ وَالتَّفْتِيشِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَالْعَيْبِ لَهُمْ، فَإِنَّهُ إِثْمٌ حَاضِرٌ.

وَالْمَعْصِيَةُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ، لِأَنَّ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ أَقْوَمُ، وَلِأَنَّ غَيْرَهُمْ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَمَنْ كَانَ طَبْعُهُ الشَّرُّ مِنْ غَيْرِهِمْ جَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ، وَلِأَنَّ الاشْتِغَالَ بِالنَّاسِ يُضَيِّعُ الْمَصَالِحَ النَّافِعَةَ وَالوَقْتَ النَّفِيسَ وَيُذْهِبُ بَهْجَةَ العِلْمِ وَنُورَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ القَنَاعَةَ بِاليَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ وَالِاقْتِصَادَ فِي أَمْرِ المَعِيشَةِ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، لَا سِيَّمَا المُشْتَغِلُونَ بِالعِلْمِ، فَإِنَّهُ كَالمُتَعَيِّنِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ العِلْمَ وَظِيفَةُ العُمْرِ كُلِهِ أَوْ مُعْظَمِهِ، فَمَتَى زَاحَمَتْهُ الأَشْغَالُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالضَّرُورِيَاتُ حَصَلَ النَّقْصُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَالِاقْتِصَادُ وَالقَنَاعَةُ مِنْ أَكْبَرِ العَوَامِلِ لِخَصْرِ الأَشْغَالِ الدُّنْيَوِيَةِ وَإِقْبَالُ المُتَعَلِّمِ عَلَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ.

وَمِنْ آدَابِ العَالِمِ وَالمُتَعَلِّمِ النُّصْحُ وَبَثُّ العُلُومِ النَّافِعَةِ بِحَسْبِ الإِمْكَانِ، حَتَّى لَوْ تَعَلَّمَ الإِنْسَانُ مَسْأَلَةً وَبَثَّها كَانَ ذَلِكَ مِنْ بَرَكَةِ العِلْمِ، وَلِأَنَّ ثَمَرَاتِ العِلْمِ أَنْ يَأْخُذَهُ النَّاسُ عَنْكَ، فَمَنْ شَحَّ بِعِلْمِهِ مَاتَ عِلْمُهُ بِمَوْتِهِ، وَرُبَّمَا نَسِيَهُ وَهُوَ حَيٌّ، كَمَا أَنَّ مَنْ بَثَّ عِلْمَهُ كَانَ لَهُ حَيَاةً ثَانِيَةٌ وَحِفْظًا لِمَا عَلِمَهُ، وَجَزَاهُ اللهُ بِحَسَبِ عَمَلِهِ.

وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَتَعَيَّنُ السَّعْيُ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ وَتَأْلِيفُ القُلُوبِ عَلَى ذَلِكَ، وَحَسْمِ أَسْبَابِ الشَّرِ وَالعَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَأَنْ يَجْعَلُوا هَذَا الأَمْرَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَغَايَةً يَسْعَوْنَ إِلَيْهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ؛ لِأَنَّ المَطْلُوبَ وَاحِدٌ وَالقَصْدَ وَاحِدٌ، وَالمَصْلَحَةَ مُشْتَرَكَةٌ، فَيُحَقِّقُونَ هَذَا الأَمْرَ بِمَحَبَةِ كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَمَنْ لَهُ قَدَمٌ فِيهِ أَوْ اشْتِغَالٌ أَوْ نَفْعٌ، وَلَا يَدَعُونَ الأَغْرَاضَ الفَاسِدَةَ

تَمْلِكُهُمْ وَتَمْنَعُهُمْ مِنْ هَـذَا المَطْلُوبِ الجَلِيلِ، فَيُحِبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَذُبُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَيَبْذُلُونَ النَّصِيحَةَ لِمَنْ رَأَوْهُ مُنْحَرِفًا عَنْ الآخَرِ، وَيُبَرْهِنُونَ عَلَى أَنَّ الأُمُورَ الجُزْئِيَّةَ التِّي تَدْعُو إِلَى ضِدِّ المَحَبَّةِ وَالِائْتِلَافِ لَا تُقَدَّمُ عَلَى الأُصُولِ الكُلِّيَّةِ التِّي فِيهَا جَمْعُ الكَلِمَةِ.

وَلَا يَدَعُونَ أَعْدَاءَ العِلْمِ مِنَ العَوَامِ وَغَيْرِهِمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ إِفْسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَتَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ، فَإِنَّ فِي تَحْقِيقِ هَذَا المَقْصِدِ الجَلِيلِ وَالقِيَامِ بِهِ مِنَ المَنَافِعِ وَالمَصَالِحِ مَا لَا يُحْصَى، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا أَنَّ هَذَا هُوَ الدِّينُ الذِّي حَثَّ الشَارِعُ عَلَيْهِ بِكُلِ طَرِيقٍ.

وَأَعْظَمُ مَنْ يَلْزَمُهُ القِيَامُ بِهِ أَهْلُهُ، وَلِأَنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ عَلَى النُّصْحِ وَالإِخْلَاصِ اللَّذَيْنِ هُمَا قُطْبُ الدِّين وَرُوحُهُ، وَإِنَّ هَذَا الوَصْفَ يَتَّصِفُ العَبْدُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ الَّذِينَ وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَةِ مِنْ مَدْحِهِمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ مَا لَا يَتَّسِعُ هَذَا المَوْضِعُ لِذِكْرِهِ.

وَفِيهِ مِنْ تَكْثِيرِ الْعِلْمِ وَتَوسِعَةِ الوُصُولِ إِلَيهِ وَتَنَوُّعِ طُرُقِهِ مَا هُوَ مُشَاهَدٌ، فَإِنَّ أَهْلَ العِلْمِ إِذَا كَانَتْ طَرِيقَتُهُم وَاحِدَةً تَمَكَّنَ أَنْ يَتَعَلَّمَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيُعَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مُنْزَوِيَةً عَنِ الأُخْرَى مُنْحَرِفَةً عَنْهَا اِنْقَطَعَتِ الفَائِدَةُ وَحَلَّ مَحَلَّهَا ضِدُّهَا، وَحَصَلَ التَّعَصُبُ وَالبُغْضُ وَالتَّفْتِيشُ عَنْ عُيُوبِ الطَّائِفَةِ الأُخْرَى وَأَغْلَاطِهَا، وَكُلَّ هَذَا مُنَافٍ لِلدِّينِ وَالعَقْلِ، وَلِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ، وَلِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

فَالمُوَفَّقُ تَجِدُهُ نَاصِحًا للهِ بِتَوْحِيدِهِ وَالقِيَامِ بِعُبُودِيَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بِإِخْلَاصٍ وَاحْتِسَابٍ وَتَكْمِيلٍ لَهَا بِحَسَبِ وُسْعِهِ، نَاصِحًا لِكِتَابِ اللهِ بِالإِيمَانِ بِمَا اِشْتَمَلَ عَلَيهِ، وَالإِقْبَالُ عَلَى تَعَلُّمِهِ وَتَعَلُّمِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَيَتَفَرَّعُ عَنْهُ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا، نَاصِحًا لِرَسُولِهِ بِالإِيمَانِ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ وَتَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ عَلَى كُلِّ مَحَبَّةٍ بَعْدَ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَتَحْقِيقِ مُتَابَعَتِهِ فِي شَرَائِعِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، نَاصِحًا لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلَاتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ فِي مَحَبَّةِ الخَيْرِ لَهُمْ وَالسَّعْي فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَيْهِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَمَحَبَّةِ اِجْتِمَاعِ الرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَتِهِمْ

وَعَدَمِ مُخَالَفَتِهِمْ الضَّارَةِ، نَاصِحًا لِعَامَّةِ المُسْلِمِينَ، يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَدِّقُ ظَاهِرَهُ بَاطِنَهُ، وَأَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ، وَيَدْعُو إِلَى هَذَا الأَصْلِ القَوِيمِ وَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّهُ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، وَحُبَّ العَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّهِ، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هَوَ الوَهَّابُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ ذَلِكَ وَكَتَبَهُ الفَقِيرُ إِلَى رَبِّهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ النَّاصِر بْن سَعْدِي، وَنَقَلَهُ مِنْ خَطِّ المُؤَلِّفِ الفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ مُحَمَدُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ آلْ بَسَّامْ.

بِتَارِيخِ ١/ ذِي الحِجَّةَ عَامَ ١٤١٢هـ.

الشَّرْحُ

قال الشّيخ السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(يَتَعَيَّنُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ مِنَ المُعَلِّمِينَ وَالمُتَعَلِّمِينَ أَنْ يَجْعَلُوا أَسَاسَ أَمْرِهِمْ؛ الذِي يَبْنُونَ عَلَيْهِ حَرَكَاتِهِمْ وَسَكَنَاتِهِمْ الإِخْلَاصَ الكَامِلَ وَالتَقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِهَذِهِ العِبَادَةِ، التِي هِيَ مِنْ أَجَلِّ العِبَادَاتِ وَأَكْمَلِهَا وَأَنْفَعِهَا وَأَعَمِّهَا، وَيَتَفَقَّدُوا هَذَا الأَصْلَ الجَلِيلَ فِي كُلِّ دَقِيقٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَجَلِيلٍ).

هذه المقدمة التي بدأ بها المُصنِّفُ أجاد فيها وأحسن فقد تكلّم عن أمرٍ مهمٍ يجب البداءةُ به كُلِّ شيءٍ وهو الإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّ العناية بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ ومراجعةُ النّيةِ من الأمور المهمّة؛ التي يجبُ على كُلِّ مسلمٍ مراجعتها في أحوالهِ كُلِّها وخاصة فيما يتعلّق بالعلم.

❁ والمسلم يجب عليه أن يراجع نيّتهُ دائماً، ومراجعةُ النّيةِ من جهتين:

۞ الجهةُ الأولى: من حيثُ نفيُ الرّياء والتّسميع

فيحرص على أن يُبعد عن نفسه الرّياء، وأن يطردُ عن قلبهِ الالتفات للتّسميع بأن يسمع به النّاس، فما عليه هل رآهُ النّاس أو سمعوا به أم لا، وفي هذا مراعاةٌ لجانب حِماية جناب التّوحيد من حيث الشّرك الأصغر وهو الرّياء.

وقد بيَّن النّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّ طرد الرّياء يكون بأمورٍ منها الدُّعاءُ، ففي حديثِ محمود بن لبيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّم أصحابهُ دُعاءً يدعون به، ويكون سبباً بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ لذهاب الرّياء عن قلوبهم، **فعلّمهم النّبيُّ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أن يقولوا**: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ وَنَحْنُ نَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ**».

إذن: الأمر الأوّل في الإخلاص أن تحرص على نفيِ المُراءات والتَّسميع عن قلبك، وهذا الأمر مهمٌّ جدًا، وأخطر من الوقوع في المُراءات والتّسميع تركُ العمل خشية المراءات والتّسميع.

إذن: عندنا خطئان كِلاهما عظيمٌ والثّاني أعظم من الأوّل:

۞ **فالأوّل**: الذي يعمل العمل الصّالح لأجل من يراه أو يسمع به؛ فهو مُراءٍ حبط عملهُ.

۞ **والثّاني**: من ترك العمل بالكليّة وخاصةً إذا كان من الواجبات والمُتأكِّدات خشية الوقوع في الرّياء، فهذا أشدُّ إثماً وأقلُّ عقلًا كذلك، فإنّ عقله فيه نقصٌ لأنّه ترك العمل بالكلية لأجل النّاس خوفاً من أن يروه أو يسمعوا به.

إذن: هذا الأمر الأوّل في الإخلاص، وأمره كما قلت لكم بإذن الله سهلٌ، وذلك يكون بالدُّعاء ويكون بمراجعة النّفس، فإنّ المرء إذا أمن شيئاً وقع فيه وإذا خافه أمنهُ، كما عبّر عن ذلك الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

۞ الأمرُ الثّاني فيما يتعلّق بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ: وهو النّيّةُ في العلم

وهذه من الفقه معرفةُ النّيّة في العلم ما هي، **فما هي النّيّةُ في تحصيل العلم؟**

سُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى عن هذا السُّؤال: ما النِّيّةُ في العلم؟ ماذا أنوي؟ الصّلاة تعرف نيَّتها وهي الدُّخول في العبادة، والطَّهارة نيّةُ رفع الحدث، والصّيام نية الإمساك عن المُفطِّراتِ، والإحرام النية هي أن يعلم ويعتقد أنَّ ما كان حلالًا عليه صار حرامًا بدخوله في النُّسكِ، لكن ما النِّيّةُ الصّالحةُ التي إذا نواها المرءُ زاد أجرهُ وكمُلَ، وعبّرت بالزّيادة والكمال لأنّ النّيّة القسم الأوّل الذي تكلّمنا عنه هو المهبط بالكُليّة للأجر، والثّاني هذه مكمِّلة تزيدك أجرًا حتَّى تبلغ الكمال.

سُئل أحمد ما النّيّةُ في العلم؟ قال: «النِّيّةُ في العلم أن تنفي الجهل عن نفسكَ وتعلِّم النّاس الخيرَ».

إذن: النّيّة التي من نواها وحرص عليها فإنّ نيّته تكون نيّةً صالحةً في العلم، وتكون نيّةً يُؤجر عليها أعظم الأجر في عملٍ يعملهُ في تحصيل هذا العلم الشّريف المباركِ:

۞ **أن تنوي نفي الجهل عن نفسك**، بحيث أنّك تتعبدُ الله عَزَّوَجَلَّ على طريقةٍ سويةٍ، وعلى صراطٍ مُستقيمٍ تُؤدي العبادات كاملةً بواجباتها مع انتفاء موانعها ومُبطلاتها، والإتيان بهيئاتها وسُنَنها، وكذلك سائر العباداتِ.

وتعقدُ العقود بيعًا وشراءً ونحوهُ صحيحةً، وعلى طريقةٍ سويةٍ فهذا هي النِّيّةُ الصالحةُ أن تنوي رفع الجهل عن نفسكَ.

۞ **الثّاني: أن تنويَ تعليم النّاسِ**؛ إنَّ من النِّيّة الصالحة نيةُ تعليم النَّاس الخير، لأنَّ بعض النّاس يظنُّ أنَّ هذه النّيّة من المُراءاة فيقول: أتعلم لأعلم غير صحيحٍ أنها من المراءاة، بل إنَّها النّيّة الصالحةُ فتتعلَّم ما لا تحتاج لهُ في ظنِّك لكي تعلِّمهُ من يحتاج إليه.

رُبّما تعلّم بعض علوم الآلة قد لا تحتاج هذه العلوم لاستنباط الأحكام لفقدك شرطًا من شروط الاجتهاد، أو عدم حاجتك إليه لكنّك تعلّم هذه العلوم لمن يستثمر هذه العلوم فيما ينفعُ، فتؤجر حينذاك.

إذن: فنيّةُ التّعليم نيةٌ صالحةٌ، **وبناءً على ذلك:** فإنّ علم الشّريعة الإسلامية بالخصوص من خصائصه أنَّه يتناقل بالتَّعليم، فالأكابر يعلمونه الأصاغر، والأوائل يُعلِّمونه الأواخر، فما زال هذا العلم يُتوارث إلى قيام السَّاعة لا ينقطع، العلم مُتوارثٌ إلى قيام السّاعة لا ينقطعُ، وقد وصّى النّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمتعلمين خيرًا كما سيئتينا بعد ذلك.

إذن: المقصود الإخلاص درجةٌ لابدّ من وجودها؛ وهو ترك الرّياء والتّسميع، وترك الرّياء والتَّسميع سهلٌ جدًّا، يكون بمراجعة القلب بين الفينة والأخرى، وأن يكون ثناء النَّاس وعدم ثناؤهم عليك سواءٌ، بحيث يكون قصدك من ذلك ما عند الله عَزَّوَجَلَّ وتحصيل الغاية فحسب، وتكثر من دعاء الله عَزَّوَجَلَّ الإخلاص في القول والعمل، **والأمر الثّاني:** يكملُ أجركُ بالنّيةِ الصّالحةِ نيّة نفي الجهلِ عن نفسك، ونيّة تعليم النّاس الخيرَ.

وفي كلام الشّيخ الذي قرأه القارئُ الفاضلُ نكتةٌ لطيفةٌ في قول المُصنِّف في آخر الجُملةِ: (**وَيَتَفَقَّدُوا**)؛ **أي:** المعلّم والمتعلّم معًا، (**هَذَا الأَصْلَ الجَلِيلَ**) وهو الإخلاص، (**فِي كُلِّ دَقِيقٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَجَلِيلٍ**)؛ **إذن: هذه الجملة لطيفةٌ تدلُنا على أمرين:**

۞ **الأمر الأوّل:** أن يحرص المرءُ على مداومة مراجعةِ القلبِ، ومداومة سؤال الله عَزَّوَجَلَّ الإخلاص، ومداومة استحضار النّيةِ الطّيبة عند التعليم، فأنت عندما تعلّم النّاس الخير فإنّك تؤجر، وعندما تبيِّن للنّاس شيئًا ينتفعون به في دينهم فإنّك ترفع عند الله عَزَّوَجَلَّ بسبب هذا التعليم.

إذن: تراجع قلبك وتستمر على ذلك حياتك كُلّها.

۞ **الأمر الثّاني**: أن تعلم أنّ هذا الأمر يكون في الدّقيق والجليل، فلا تنظر فقط لبعض الأمور وتترك بعضها، فإنَّ معظم النَّار من مستصغر الشّرَرِ، بعض الأمور الدّقيق قد يدخل على القلب منها مداخل جليلةٌ، يدخل على القلب من بعض الأمور الدّقيقة مداخل جليلةٌ، ولذلك قال بعض المتقدّمين وأظنُّه القاضي عياض: «إنَّ إخلاصنا يحتاج إلى إخلاصٍ»، ومن أحسن من جمع آثار السّلف في الإخلاص الحافظُ أبو بكرٍ بن أبي الدُّنيا -تلميذ الإمام أحمد- في كتابه «الإخلاص».

فقد جمع آثار السّلف الصالحين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى في هذا الباب، وأورد أغلب ما في هذا الجزء وزاد عليه كلامًا لطيفًا الحافظ أبو الفرج ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى المتوفى سنة سبعمائةٍ وخمسةٍ وتسعين من الهجرة في رسالته عن الإخلاص، وهذان الكتابان من الطف الكُتب المتعلِّقة بباب الإخلاصِ؛ لأنَّ بعض النّاس من المعنيين بالأدب قد يبالغ في هذا الباب مبالغةً تجعل النّاس يزهدون في العمل، وتجعل النّاس يكفُّون عن كثيرٍ من الخير خشيةً من فقد هذا الشّرط، ولكن نقول: النَّاسُ درجاتٌ، فاعلم أنّ أفعال القلوب -كُلّها بلا استثناءٍ- درجاتٌ، ليس النّاسُ فيها سواءٌ وإنّما أهمُّ شيءٍ انتفاء العامل المبطل للعمل بالكلية وهو المُراءات والتَّسميع.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(فَإِنْ دَرَسُوا أَوْ دَارَسُوا، أَوْ بَحَثُوا أَوْ نَاظَرُوا، أَوْ أَسْمَعُوا أَوْ اِسْتَمَعُوا، أَوْ كَتَبُوا أَوْ حَفِظُوا، أَوْ كَرَّرُوا دُرُوسَهُمْ الخَاصَةَ، أَوْ رَاجَعُوا عَلَيْهَا أَوْ عَلَى غَيْرِهَا مِنَ الكُتُبِ الأُخْرَى، أَوْ جَلَسُوا مَجْلِسَ عِلْمٍ، أَوْ نَقَلُوا أَقْدَامَهُمْ لِمَجَالِسِ العِلْمِ، أَوْ اِشْتَرُوا كُتُبًا أَوْ مَا يُعِينُ عَلَى العِلْمِ، كَانَ الإِخْلَاصُ للهِ وَاحْتِسَابُ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ مُلَازِمًا لَهُمْ، لِيَصِيرَ اِشْتِغَالَهُم كُلَّهُ قُرْبَةً وَطَاعَةً وَسَيْرًا إِلَى اللهِ وَإِلَى كَرَامَتِهِ، وَلْيَتَحَقَّقُوا بِقَوْلِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ

اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»).

❁ هذه الجملة التي أوردها المُصنّف فيها عددًا من المسائل واللّطائفِ:

❁ فمن اللّطائف ما ذكرهُ في آخر قوله: (وَلْيَتَحَقَّقُوا بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»)، معنى هذا: التّأمل في هذا الحديث أن يستشعر العبد أنّ العلم عبادةٌ، فإنّ استشعارك أنّ العلم عبادةٌ وفيها تحصيلٌ للأجر العظيم والوصول إلى الجنّةِ، فإنّك حينئذٍ تراعي هذه النّية، وأنّها عبادةٌ من العباداتِ فتخلصُ فيها.

❁ **الملحظُ الثّاني في كلام المصنِّف**: أنّه خاطب بالنّيةِ المعلِّم والمتعلِّم معًا، فليس المطالب بذلك المتعلّمُ فحسب؛ لأنَّ المعلم قد يدخل عليه من الرِّياءِ، ويدخل عليه من التَّسميع وحُبِّ الثَّناء ما لا يقع من غيره، وذلك أنَّ المرء إذا انتصب خطيبًا أمام النَّاس أو مُعلِّمًا لهم، فكان إذا تكلَّم أنصتوا وإذا أشار إلى أمرٍ أخذوا بقوله فإنَّ قلب الآدميِّ ضعيفٌ غاية الضّعفِ، ولرُبَّما وقع في نفس المتكلِّم ما لا يقعُ في نفس المُستمعِ.

ولذلك فإنّ المؤمن يجب أن يراجع نفسه وإن كان معلِّما، وليس معنى أنَّ المرء يكون معلِّمًا أن قد أمنَ من هذا الباب، بل إنَّ المرء رُبَّما أمن سنين طِوالًا من هذا الشّيء فلم يبقى بينه وبين آخر عُمرهِ إلّا يسير فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النَّار فيدخلها، كما جاء في الحديثِ.

ولذلك المؤمن يجب أن يراعي قلبهُ، وقد جاء عن بعض السَّلف؛ وهو **الإمام أحمدُ** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى **أنّه كان يقول**: «بعدُ بعدُ» قبل وفاته بقليلٍ، فلمَّا صحى من سكرتهِ قيل له: ماذا قصدت ببعد بعد، **فقال**: «فكأنَّ الشَّيطان تمثّل لي -في احتضاره يقول:- فتّني يا أحمدُ، فأقول له: بعدُ بعدُ فما زلتُ في الحياة فإنّ الفتنة لا يُؤمن عليها حيٌّ مطلقًا»، كما **قال عبد الله بن مسعودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الحيُّ لا تُؤمن عليه الفتنة»؛ لا تُؤمن عليه الفتنة ومن الفتنة فتنةُ القلوب في

قضية فقد الإخلاص بالكلية بالرّياء والتّسميع أو غير ذلك من أسبابِ الضّلال نسال الله عَزَّوَجَلَّ السّلامة.

❁ **ومن النُّكت المتعلّقةِ بكلام الشّيخ الذي قرأه القارئ** -قبل قليلٍ- إشارته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى لوسائل تلقِّي العلم، فقد ذكر وسائل مهمةً، **والعلماء** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى **يقولون**: إنّ العلم لا يُنال بوسيلةٍ واحدةٍ، بل لا بدّ من تحصيله بأكثر من وسيلةٍ لأنّ مجرّد الاستماع فحسب، أو التّلقي بأحد الوسائل لا يتحصّلُ به المرءُ كامل العلم، أو لا يتحصّلُ له به كثيرٌ من العلمِ.

من الوسائل التي أوردها المصنِّف: (**فَإِنْ دَرَسُوا أَوْ دَارَسُوا**)، **فقوله**: (درس): من وسائل العلم الدّراسة بأن يحضر الدّرس، أو يُدرّس لأنّهُ فعل مشاركةٍ بين المُدرِّس وبين الحاضر.

(أو دارس): فالدّرس يكون بين معلّمٍ ومتعلّمٍ، والمُدارسةُ تكون بين المرء وقرينه، من وسائل تحصيل العلم المهمّة المُدارسة، **وقد قال العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى**: «إنّ المرء لا يكون متحصّلًا للعلم إلّا بأخذه ممّن هو أعلى منه، وممّن هو دونه، وممّن هو مثلهُ»، ويكون تحصيلُ العلم ممّن هو في درجته بالمدارسةِ.

ولذلك فإنّ من أعظم نِعم الله عَزَّوَجَلَّ على العبد أن يُوفّق لصحبةٍ صالحةٍ من طلبة العلمِ، إذا اجتمع معهم لا يخوضون في فلانٍ وفلانٍ في أعراضهم، ولا يخوضون فيما لا ينفعهم من أمور الدُّنيا وتصرُّفاتِ بعض النّاس وإنّما ينشغلون بالعلمِ، يذكر لك مسألةً لم تكن قد وقفتَ عليها، او يُنبِّهُك لفهمٍ لم يكن قد ظهر لكَ، أو يُرِد لك إشكالًا لم تكن قد اِنتبهت إليهِ قبلُ، وكثيرٌ من الفوائد الدّقيقة لم تظهر إلّا في المُدارساتِ.

كثيرٌ من أهل العلم يذكرون في كُتبهم: «وهذه الفائدةُ ظهرت في المدارسة»، أضرب لك مثالين أو ثلاثة؛ أمثلةٌ متقدِّمةٌ وأمثلةٌ متأخرةٌ، فمن أقدم الأمثلة في ذلك ما جاء عن أبي الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومعاذ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كذلك وعن باقي الصّحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمُ-، **فإنّ أبا الدّرداء**

إذا رأى معاذًا قال: «تعالَ بنا نُؤمِن ساعةً»، فيجلسان فيتذاكرانِ كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ وهذا من المدارسة.

وأبو الوفاء ابن عقيلٍ إذا قرأت ما وصلنا من كتابهِ الجليلِ العظيمِ كتاب «الفنون»، ترى فيه من المناظرات وحسنه ما يكون فيه خيرٌ عظيمٌ.

ومن المتأخِّرينَ بعض المُحشِّين المُتأخرين على «الرّوض»؛ وهو بن فيروزٍ في حاشيته المطبوعةِ بعض الفوائد التي لا تكادُ تُوجد في غير حاشيتهِ، ويقول: «وهذه ممَّا أبداهُ بعض أذكياءِ الطَّلبةِ»، فكانت مُذاكرةً بينه وبين قُرنائه أو مُذاكرةً بينه وبين طُلَّابه.

فلذلك نعمةٌ أنَّ المرءَ يعيش بين صحبةٍ وبيئةٍ فيها علمٌ، وقد أوصى الإمام أبو حنيفةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى تلميذه محمّد بن الحسن في رسالته في أدب التّعليم لهُ، وهذه من رسائل أدب التّعليم القديمة فاتت على الشّرط، وهي قبل رسالة محمّد بن سحنون وهي «رسالةُ أبي حنيفة لمحمد بن الحسن»، أوصاه في رسالته وهي مطبوعةٌ، أو ردها ابن نُجَيْمٍ في آخر كتاب «الأشباه والنّظائر» أوصاه بعددٍ من الوصايا ومنها: ألّا يسكن في بلدةٍ لا عُلماء فيها.

والإمام مالك لمّا ذكر أقرانه؛ ذكر أنّ الذين أصبحوا من النّجباء من تلميذ ربيعة بن عبد الرّحمن -ربيعةَ الرّأي- أربعةٌ، وأنّ أحدهم سكن في قريةٍ نائيةٍ لا أحد فيها من أهل العلم ولا من طُلّابه فذهب علمه ولم يُنقل عنه.

المقصود من هذا أنّ الإنسان يحرص على أن يجتمع بطلبة علم، لا بوصفهِم؛ وإنَّما أيضًا بهيئتهم ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]؛ يُريدون وجههُ ليس مجرد أنّك تجد شخصًا ترتاحُ معه نفسيًا تكتفِ؛ بل احرص على من يُدارسك العلم، إذا خرجت زِدت بفائدةٍ ونكتةٍ، وفائدةٍ لا تجدها عند غيرهِ.

قال: (أَوْ بَحَثُوا أَوْ نَاظَرُوا)؛ **البحثُ**: وهو المُراجعة للكتبِ، والسُّؤال من فِيِّ العلماء إن

وُجدوا للبحث عن الأحكام يجعل نيّته صادقتًا وهي وسيلةٌ من وسائل التّعليم.

(**أَوْ نَاظَرُوا**)؛ وهي **المناظرةُ**: وهذه المناظرة تكلّم عنها أهل العلم كثيرًا، وقد جاء عن النّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النّهيُ عن المِراء وعن الجدلِ في أكثر من حديثٍ، وقد بيَّنَ أهل العلم كابن مفلحٍ وغيره أنّ تحقيق الحُكم في المِراء والمُجادلةِ المَردُّ فيه للنِّيةِ.

فمن ناظر غيرهُ -انظر معي- فمن ناظر غيره بقصد الغلبة عليهِ أو العُلوِّ فإنَّ مناظرتهُ له ولو كان مُصيبًا مُحقًا دائرٌ بين الكراهةِ والتَّحريمِ، كثيرٌ من طلبة العلم إذا أراد أن يسأل شيخًا أو زميلًا أو أستاذًا له في الجامعةِ يسألهُ ليتعنَّت ويُظهِر أنَّه هو الذي غلبَ، وأنَّ لسانه هو الذي علَى، وأنه هو الذي انتصر ذكر بن مفلحٍ أنَّ هذا هو الذي يُحمل عليه الأحاديث؛ «**أَنَا زَعِيمُ بَيْتٍ فِي رَبَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَلَوْ كَانَ مُحِقًا**»؛ فهو دائرٌ بين الكراهة والتّحريمِ بحسب قصده ونيَّتهِ.

وأمَّا من ناظر في العلم الشّرعي؛ -نتكلم في المسائل الشّرعية الظّنية التي يكون فيها الاجتهاد سائغًا-، وأمّا من ناظر في العلم الذي يسوغ فيه الاجتهادُ وقصدهُ الوصول للحقِّ فهذا مأجورٌ عليهِ، هذا هو المأجور الذي يُريدُ الوصول إلى الحقِّ، عندهُ إشكالٌ فيسأل، ثُمَّ يورد على هذا سؤالًا واستشكالًا وعلى ذلك بنا أهل العلم كُتبهم، فكتب أهل العلم المُسماة بالتعليقة؛ «تعليقةُ القاضي أبي يعلى»، و«انتصار أبي الخطَّاب»، و«تعليقة أبي الطّيبِ الطّبري»، و«تعليقة القاضي حُسينِ المَرْوَزي»، و«تعليقة أبي حامدٍ الإسفراييني» وغيرها من التّعليقات الكثيرة وما نُقل عنها كُلّها مبنيةٌ على هذا الباب وهي المناظرةُ للوصول إلى الحقِّ.

إذن: المناظرةُ طريقٌ من طرق العلم بشرط -وخاصة في المناظرة- قصدك - غير النّية فالقصد معنى زائدٌ عن النِّية- قصدك من المناظرة أن يكون خيرًا؛ وهو الوصول إلى الحقِّ في المسائل التي تقبل الاجتهادَ.

قال: (**أَسْمَعُوا أَوْ اِسْتَمَعُوا**)؛ الفرق بين السّماع والاستماع تحتمل -أنا لا أدري قصد المصنِّف- لكن ربّما قصدهُ بـ (**أَسْمَعُوا**) **أي**: تكلّموا ليسمعوا غيرهم، (**اِسْتَمَعُوا**) كانوا هم المنصتين، هذا مُرادهُ فيما يظهرُ.

فالإنسان إذا أسمع غيرهُ بالكلام، أو أنصت في العلم لأنَّ العلم الذي ينفع إنَّما هو الذي فيه إنصاتٌ؛ **لأنَّ هناك فرقًا بين السّماع والاستماع**: فالسّماع لا تؤجر فيه حيثُ يطرقُ الكلام أذنيك، وإنّما تُؤجر على الاستماع أن تقصد الاستماع للمتكلِّم.

ولذلك فإنَّ الصّوت المُحرّم إنّما تؤثم عليه إذا استمعت، والقرآن إنَّما تُؤجر على استماعه لا مطلق سماعه، وستجُد التِّلاوةَ إذا سجد القارئُ إذا كُنت مستمعًا لا سامعًا، ففرقٌ بين الاستماع وبين السّماع، وهذا كلام المصنِّف.

قال: (**أَوْ كَتَبُوا أَوْ حَفِظُوا**)؛ من وسائل التّعلُّم الكتابةُ، والكتابة لها طُرقٌ أن تكتب عندما تسمعُ من شيخٍ.

العِلْـــمُ صَـــيْدٌ والكِتَابَـــةُ قَيْـــدُهُ ....

أو أن تقيِّد فوائد من كتابٍ أو أن تختصر كُتبًا فإنّ من وسائل تحصيل العلم اختصارات الكُتبُ، وأضرب لكم مثالًا بأحد العلماءِ الذي اختصر عشرات الكُتب وهو الذّهبيُّ؛ فقد كانت طريقته في التّعلُّمِ أنّه يختصر الكُتب؛ يختصر يختصر... «السُّننُ الكبرى» اختصرها وعشرات الكُتب الذي طُبع بعض اختصاراته لها.

قال: (**أَوْ كَرَّرُوا دُرُوسَهُمْ الخَاصَةَ**)؛ من وسائل التّعليم ذكرها الشّيخُ تكرير الدُّروس الخاصة، قولهُ: (الخاصة) يعود للتّكرير فيُكرِّرُ الدّرس؛ العلم تستمعه يبقى في ذهنك منه لنقل نصفهُ -لنَقُل- بعد فترةٍ هذا النِّصف لن يبقى إلّا أقلَّ من عشرهِ، لكن إن كرّرتهُ بقيَ هذا النّصفُ في ذهنكَ بل رُبّما ازداد فهمكُ عن النِّصفِ.

فالعلم لا بُدَّ فيه من التّكرار، التكرار هذا لا بُدَّ منه، وكان بعض أهل العلم يُكرّرُ المحفوظ عشرات المرّات، ذكر أبو هلال العسكري الأديب أنَّهُ كان يشُقُّ عليه الحفظُ، فكان يحفظُ بيت الشّعر ويُكرِّره في اليوم عشراتِ المرَّات حتَّى أَلان الله لهُ الحِفظ، فأصبح يحفظُ بتكرارٍ قليلٍ.

أوّل شبابك لا بُدَّ أن تُكرِّر، لا بُدَّ كرِّر، كرِّر، كرِّر، كرِّر حتَّى تحفظ، وكرِّر، كرِّر حتَّى تفهم، وكرِّر، كرِّر حتّى تستظهر فليس التِّكرار للحفظ فقط، بل للحفظ وللاستظهار وللفهم وللمراجعة.

والشّيخ أطال في تعليم النَّاس صغارهم وكبارهم، ودرَّس وهو صغيرٌ، وحصَّل العلم وهو صغيرٌ واستمَّر على القراءة على مشايخه كذلك، فعلمهُ بالتَّعليم أجود من تعليم غيرهِ، فليس له وظيفةٌ سوى الإمامةِ والتَّعليم فخبرتهُ في التَّعليم قد لا يُشاركه فيها كثيرٌ من قرنائه في عصره.

قال: (**أَوْ رَاجَعُوا عَلَيْهَا**) **يعني**: راجعوا ما مضى عليهم.

(**أَوْ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ الكُتُبِ الأُخْرَى**)؛ **يعني**: يراجعون في المسألة التي مرّت عليهم يمرُّون عليها في الكُتب الأخرى، بعض الإخوة يقول: يكفيني أن أقرأ كتاباً واحدًا في الفنِّ؟ نقول: نعم، الكافيةُ هي كافيةٌ، ولكن من طرق العلم أن تقرأ المسألة في أكثر من كتابٍ، إذا قرأت المسألة في كتابٍ ثُمَّ قرأتها في الثّاني، ثمّ قرأتها في الثّالث والرّابع ستصبح المسألةُ في ذهنك مسلّمةً، قد لا تعرف نصَّها حفظاً أو من عين الكتاب الذي نقلته، ولكن من كثرت تكرارها وخاصةً إذا كانت الكُتب على طريقةٍ واحدةٍ، ومنهجٍ واحدٍ في المسلك، **يعني**: لا تأتيني مثلًا بالمسألة -وخاصة لطالب العلم المبتدئ- يقرأ المسألة في مذهبٍ ثمّ في مذهبٍ أصوله مختلفةٌ، فإنَّ طريقة الأوّل في عرضه ونتيجته مختلفةٌ عن طريقة الثّاني في عرضه؛ **أي**: في مقدّماته ونتيجتهِ، فيتشتّت ذهنُك كأنَّهما مسألتان مختلفتانِ، لكن إذا قرأتها في مدرسةٍ واحدةٍ

ومسلكٍ واحدٍ ستجد أنَّ هذه المعلومة تبتت في ذهنك فتراجعها في كتبٍ كثيرةٍ.

قال: (أَوْ جَلَسُوا مَجْلِسَ عِلْمٍ)؛ وهذه مسألةٌ مهمّةٌ احرص عليها، من أعظم وسائل تحصيل العلم جلوس مجالس العلم، مجالس العلم لا تستخِفنَّ بها؛ فإنَّ فيها من البركةِ وفيها من اليُمن ما لا يوجد في غيرها وهذا واضحٌ وضوح الشّمسِ في رابعةِ النّهار.

مجالسُ العلم وخاصةً إذا كانت في المساجد ففيها من البركة، وحفِّ الملائكةِ، والخير والدّخول في الأحاديث الكثيرة الواردة في فضل من مكثَ في مسجدٍ أو حصّل علما أو اجتمع في ذكرٍ ما لا يوجد في غيرها من الوسائل، فاحرص على التَّحصيل عن طريق مجالس العلم، نعم قد تُحصِّل بغيرها بقراءةٍ، قد تُحصِّل بغيرها لكن إن امكنكَ واستطعت وتيسّر عليكَ حضور مجالس العلم فلا تحرم نفسكَ، والأمور معلّقةٌ بالاستطاعة والقُدرة ومن لم يقدر فلا يُكلّف الله نفساً إلّا وُسعها، ويؤتي الله عَزَّوَجَلَّ المؤمن على نيّتِهِ أكثر ممّا يؤتيه على عمله؛ «**إِنَّ إِخْوَانًا لَكُمْ فِي الْمَدِينَةِ مَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا وَلَا رَقَيْتُمْ جَبَلًا إِلَّا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَمَا لَكُمْ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»، فمن عُذرَ لسببٍ أو لآخر والأسباب كثيرةٌ للآدميين؛ مرضٌ عجزٌ -أسبابٌ كثيرةٌ- بلدهُ مختلفةٌ، غريبٌ وهكذا فهو مأجورٌ والله عَزَّوَجَلَّ كريمٌ أن يُنيلهُ في الدُّنيا والآخِرِ ما قصدهُ بنيّتِهِ.

ثُمّ قال الشّيخُ: (أَوْ اِشْتَرُوا كُتُبًا)؛ شراء الكتب أيضاً من الوسائل المهمّة لتحصيل العلمِ، وخاصةً في وقتنا -أكرّرُ- لِمَ؟ لأنَّ في وقتنا السّماع قلَّ، والتَّدريسُ قلَّ، وحِلقُ العلم قلَّت كذلك وقلَّ ما تجدُ شيخاً يجلسُ في كُلِّ يومٍ خمسةَ مجالس إلى عهدٍ قريبٍ، يعني: إلى قبل ثلاثين أو أربعين سنةً هناك من المشايخِ من يجلسُ اليوم كُلّهُ يُدرِّسُ الآن النَّاس ذهبوا في شغالهم في معاش، في وظائفهم، في المشاوير؛ البُعد بين البلدان بين وبينكم هنا ساعةٌ ونصفٌ؛ بين بيتي وهذا المسجد وهكذا.

إذن: هذه المشاوير وبعد النّاس في طُرقهم ونحو ذلك من الأمور تجعل تحصيل العلم - **يعني:** المجالس والاجتماع- فيه من المشقّة على كثيرٍ من النّاس ما لا يستطيع في كُلِّ يومه، فلذلك كان من وسائل تحصيل العلم شراءُ الكُتبِ، إن كان المرءُ ذا جِدةٍ وقُدرةٍ ماليةٍ، فإن لم يكن قادرًا فهناك بدائلٌ بإمكانك أن تذهب للمكتبات العامّة.

وما زال أهل العلم يذهبون إلى المكتبات العامّة يقرؤون وأنت تعجبُ من إعراض بعض طلبة العلم عن بعض هذه المكتباتِ؛ لأنَّ المكتبات ليست لمجرّدِ من فقد الكِتاب بل إنَّ هذه المكتبات فائدتُها أنَّ بعض الكُتبِ لا توجد إلّا فيها، فكثيرٌ من الكتب فقدت ولم تُطبع أو حاجتك لها مرة لا تحتاجُ إلى شرائها وتبقى لك دائمًا فمُجرّد اطّلاعك على أسمائها ومعرفتك على مُجمل ما احتوته هذه الكتب، أو قراءتك مسألةً أو مسألتينِ فيها؛ فيها فائدةٌ عظيمةٌ.

ولذا فإنَّ طالب العلم لا بُدَّ أن يستمِرَّ على القِراءةِ ومن الوسائلِ المعينة على القِراءة شراء الكتب واقتناؤُها له تفاصيل وأحوال مُتعدِّدةٌ.

قال: (**أَوْ مَا يُعِينُ عَلَى العِلْمِ**)؛ **يعني:** وسائل العلم غير محصورةٍ، ويدلُّ على عدم حصرها قول النّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا**»؛ نكرةٌ في سياق إثباتٍ فتَعُمُّ عمومَ أوصافٍ؛ فيدلُّنا أنَّ طرق العلم كثيرةٌ، غير مُحدَّدةٍ، ليست محصورةً بل هي كثيرةٌ جدًا، والآن جاءتنا من الطُّرق الحديثة وسائل الاتصال والاستماعِ والمشاهدة والمُراسلةِ وغيرها من الوسائلِ التي كانت مفقودةً إلى عهدٍ قريبٍ.

نعم بنى على ذلك الإخلاص الذي تقدّم ذكرهُ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالَى:**

(**فَكُلُّ طَرِيقٍ حِسِيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ يَسْلُكُهُ أَهْلُ العِلْمِ يُعِينُ عَلَى العِلْمِ أَوْ يُحَصِّلُهُ؛ فَإِنَّهُ دَاخِلٌ فِي**

هَذَا)؛ نعم كلامٌ صحيحٌ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ثُمَّ بَعْدَ هَذَا فَيَتَعَيَّنُ البُدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ مِنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَةِ، وَمَا يُعِينُ عَلَيْهَا مِنْ عُلُومِ العَرَبِيَّةِ).

بدأ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بذكر مسألةٍ مهمةٍ؛ وهي: (**البُدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ**)، وهذه المسألة من المسائل المهمّةِ وهي قضيّةُ أنّ الإنسان يترقّى في مراقِي العلم درجةً درجةً؛ وهذا مأثورٌ عن السّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى **فقد جاء عن عبد الله بن عبّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **أنّهُ قال**: «الرّبانيون الذين يُعلِّمون النّاس صغار العلمِ قبل كبارهِ»، ومن أراد أن يتعلّم كبار العلم قبل صغاره فإنّهُ يكون كالمنبتِّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى.

ومن نِعم الله عَزَّوَجَلَّ على العبد أن يُوفّق لهذا الذي أشار إليه المصنِّف؛ وهو البداءةُ بالأهمِّ قبل المهمِّ، إذ لو بدأ بما كان دونه أهميّةً لرُبّما انقضى عُمرهُ ولم يستفد منهُ، بل رُبّما انشغل بالصّعبِ وترك المُهمَّ الذي يكون أسهلَ.

ولذلك يقول المصنّفُ: (**يَتَعَيَّنُ البُدَاءَةُ بِالأَهَمِّ فَالأَهَمِّ**)؛ ولا شكَّ أنّ أهمَّ المُهمَّاتِ هو كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وقد جاء أنّ رجُلًا جاء إلى الإمام أحمد فقال: «الرّجل يكون عندهُ الأيتام - **يعني**: الشّباب من أولاده ونحو ذلك؛ الشّباب الصّغار الذين دون البلوغ- أيُسمعهمُ الحديثَ؟» وطريقة السّلف إذا قالوا سماع الحديث، لا يقصدون به مجرّد السّماع أو مجرّد الحفظ، وإنّما يقصدون التّفقُّه، مطلق التّفقُّه، **قال**: «يُعلّمهم القرآن».

فيبدأ المرء في تعلُّم القرآن يجب على الإنسان أن يعتني بالبداءة بالقرآن، إن كان الله عَزَّوَجَلَّ سهّل عليه الحفظ، وأمكنه حفظ هذا الكتاب العظيم فإنّها نعمةٌ عظيمةٌ، لم يُمكنه الحفظ فليحرص على أن يُصوِّب لسانهُ في قِراءتهِ؛ أوّل ما ينشغل به أن يُصوِّب لسانهُ في قراءةِ هذا الكتاب العظيم.

ومن نِعم الله عَزَّوَجَلَّ علينا أنّنا في هذه البلاد المُباركةِ في التّعليم نقرأُ القرآن ونتعلّمه من الصّفِ الأوّل الابتدائيِّ، بل إنّ بعضاً من المدارس -التّعليم العام- لا يتخرّج المرءُ من المتوسّطة إلّا وقد حفظ القرآن كُلّهُ فيكون هذا معيناً له للانطلاق في طُرق التّعليم بعد ذلك.

فالمقصود أنّ أوّل ما يبدأ به طالب العلم؛ هو أن يعنى بالقرآن وسيأتي على ذكرها المُصنّف.

قال: (**مِنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ**)؛ وأوّلها القرآن والحديث والتّفقُّه فيهما.

(**وَمَا يُعِينُ عَلَيْهَا مِنْ عُلُومِ العَرَبِيَّةِ**)؛ ثُمَّ قال: (**وَتَفْصِيلِ هَذِهِ الجُمْلَةِ مَعْرُوفٌ**)؛ **يعني**: تفصيلها في الكُتب الأخرى، ما هي العلوم الشّرعية؟ وما هو الأهم فالمُهم، على سبيل المثال لمّا تنازعوا هل يُبدأُ بالأصول قبل الفروع؟ القاضي وأغلب الأصحاب قالوا: «تقدم الفروع على الأصول»، وابن عقيلٍ قال: «يقدم معرفة الأصول على تقديم الفروع»، لمّا تكلّموا عن مسألة أنه لا يمكن أن يعرف الفروع إلا وقد حفظ أو استظهر هذه عباراتهم: «ولا يشترط حفظه ويكفي استظهاره آيات الأحكام»، وعدها جماعة كأبي حامد الغزالي وكثير من المتأخرين أن خمسمائة آية، فيتفقَّه في خمس مئة أية آيات الأحكام ثم ينطلق بعد ذلك في معرفة الفروع الفقهية.

ومن الأحاديث ما جمعوه في كتب أحاديث الأحكام ونحو ذلك.

وعلوم العربية بعضها مهم وبعضه دونه في الأهمية، وعلوم العربية كثيرةٌ جدًا والإحاطة بها صعبةٌ حتى **قال الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى في كتابه «الرسالة» -أو **معنى** كلام الشافعي-: «لا يحيط بالعربية إلا نبيٌّ».

فالعربية هذه علمٌ عظيمٌ جدًا ولا يمكن أن يحيط بفنون هذا الفن العظيم الجليل إلَّا نبيٌّ لشدة أن تفرعها ودقتها وتفاصِيلها ويكفيك أن تنظر في المعاجم فما ألَّف أحد مُعْجَمًا إلا

وجاء واستدركَ عليه المستدرِكُ، حتى الذين جمعوا المعاجم السِّتة كصاحب «اللّسان» وغيره اُستدرك عليه استدراكاتٍ، وهذا في الغريب؛ ناهيك عن الصرف ناهيك عن البيان ناهيك عن البلاغة؛ ناهيك عن العَرُوض؛ ناهيك عن الأشياء الكثيرة المتعلقة بالعربية.

وكلَّما زاد المرءُ في العربية كلَّما كان أجود في فقههِ، ومن أجمل الكتب التي أُلفت في بيان أهمية العربية وتعلُّقها بعلوم الشريعة عموماً وبالفقه خصوصا كتاب «الصعقة الغضبية» لنجم الدين الطُّوفي وهو كتاب جليلٌ، وفي آخره أَتى بتطبيقات في فهم كلام أثر معرفة العربية في فهم كلام الفقهاء في بعض الجمل من كتاب «الطلاق والعتق» من كتاب «المُحَرَرُ» للمجد ابن تيمية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْلُكَ أَقْرَبُ طَرِيقٍ يُوصِلُ إِلَى المَطْلُوبِ الذِي قَصَدَهُ**).

❁ **هذه المسألةُ مهمةٌ**، وهي قضية أن يسلك أقرب طريقٍ يوصل إلى المطلوب الذي قصده، هذه المسألة مهمةٌ جدًا يحرص المرءُ على الطَّريق القصير لأنَّ العمر قصيرٌ، ولأنك لحاجة للانشغال بغيره من العلوم المكمِّلة لما تريد الوصول إليه؛ وهو العلم بالله عَزَّوَجَلَّ وبشرعه، وكما تقرر معنا الإحاطة بالعلوم الشرعية محالٌ على غير نبيِّنا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وكذلك العربية.

فأنت مهما حصَّلت من العلم لابد وأن يكون علمك ناقِصاً، بل وعلم الأنبياء ليس شيئاً في علم الله عَزَّوَجَلَّ كما **قال الخَضِرُ لموسى** عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: «**مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنَ اليَمِّ**»؛ لَمَّا نَقَرَ العَصْفُورُ في البحر فشرب منه شربة.

فالمقصود من هذا أن الإنسان يحرص على الطريق القريب الذي يتحصل به في العلم قدر المستطاع.

من الوسائل التي يتحصل بها على العلم القصير: في الشروح فإذا كان الشرح يمكن إنجازه أو سماعه في سنةٍ؛ فهو أولى من أن تتحصل على العلم في خمس سنين أو عشرةٍ، بعض الناس يجلس في شرح كتاب سواءًا كان مُسمِعًا أو مُسْتَمِعًا في عشرين سنة.

إذن: طالب العلم لن يصل إلى كتاب «الإقرار والقضاء» إلا بعد عشرين سنة، انقضى العمر متى تعود بالمراجعة؟ متى تعود بالفهم؟ متى تعود بالاستدراك؟

فلذلك احرص على أقرب طريق وعدم الانشغال ببنيات الطريق؛ وإنما انشغل بالطريق الأقرب الموفي بالغرض، وكلام الشيخ في غاية النفاسة.

قال الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَأَنْ يَنْتَقِي مِنْ مُصَنَّفَاتِ الفَنِّ الذِي يَشْتَغِلُ فِيهِ أَحْسَنَهَا وَأَوْضَحهَا وَأَكْثَرَهَا فَائِدَةً**).

هذه الكلمة جميلةٌ جدًا، وهو أن المصنفات يشتغل بأحسنها وأوضحها وأكثرها فائدةً.

كل فنٍ فإن المؤلفات فيه بالعشرات بل ربَّما بالمئات، فالفقه بالعشرات وبل بالمئات وكثيرٌ من النّاس يقول: اليوم نختار مختصر الفلاني أو الفلاني؛ **فما الذي تختاره منها؟** تختار أحسنها وأوضحها وأكثرها فائدةً. **قد يقول طالب العلم كيف أعرف ذلك؟**

نقول: تعرف ذلك عن طريق من سبقك، وقد قلت لكم وهذا دائما أكرر هذا الأثر **وهو قول بعض شيوخ الإمام مالك**: إنّ من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على الحدث أن يُوفَّق لشيخ من أهل السنة.

هذا الشيخ يختصر عليه الطريق يُبين له أقرب الطرق الموصلة للعلم، أحسن الكتب وعدم الانشغال فيما لا ينفعه من العلوم التي لا ينتفع بها من ذلك الكتب.

كان أحد المشايخ -عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ- من المشايخ المعروفين عندنا توفي -عَلَيْهِ رَحْمَةُ الله- **كان يقول**: «إذا دخل علي الطالب أعرف نباهته وجوده من غيره بسؤاله الأول

فإن قال: ماذا أقرأ من كتاب عرفت أنه قد عرف أدب العلم»، نص عليه الشيخ لأنه يعلم أن الشيخ يعرف الكتاب النافع له) أي: للطالب وله أي: الأستاذ فليس كل شيخ يحسن شرح كل كتاب قال: «وإن قال إني أريد أن أقرأ الكتاب الفلاني يقول: (لم امنعه ولكنني أعرف أنه دون الأول».

فالمقصود أن من الوسائل التي تعرف بيها أحسن الكتب وأوضحها وأكثرها فائدة؛ ما ذكرت لك من استشارة أهل العلم الذين سبقوك وخاصة المعلمين.

الأمر الثاني: أن تنظر لعرف أهل البلد، فإن لكل أهل بلد كتبا مصنفة يمشون عليها في الفقه، وفي الحديث، وفي علوم الآلة فاحرص على الكتب التي يُدَرِّسُها أهل البلد، فإنَّ المُعلمين يكونون قد درسوها في أول أمرهم، ثم أقرؤوها بعد ذلك، عرفوا نُكَتَهاَ وعرفوا ما فيها من الاستدراكات وما ينقصها من التمام.

ولذلك فإن الكتب التي تُدَّرس ليس معناها أنها الأجود؛ وإنما هي الأكثر خدمةً وهذا موجود في كتب الفقه وفي بعض المُنتقيات أو في كثير المنتقيات من أحاديث الأحكام، أضرب لكم مثالًا في أحاديث الأحكام «بلوغ المرام» فيه أوهامٌ، «عمدة الأحكام» فيها أوهامٌ طُبِعت كتبٌ لبيان أوهام الحافظين عبد الغني وأوهام الحافظ ابن حجر، **لِمَ لا ننتقل لما هو أقل منها أوْهامًا؟**

نقول: «هذان الكتابان عُنِيَ بهما، أهل العلم وشرحوها وبيَّنوا ما فيها من الدَّلائل، وبيَّنوا تفاصيل لا توجد في غيرهما من الكتب غير مخدومة»، ولذلك فإنَّ الانتفاع بهذه الكتب لهذا السبب؛ فإن فيها من الفائدة ما لا يوجد في غيرها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَجْعَلَ جُلَّ هَمِّهِ وَاشْتِغَالِهِ بِذَلِكَ الكِتَابِ حِفْظًا عِنْدَ الإِمْكَانِ).

هذه نكتةٌ جميلةٌ بأن يجعل المرءُ له في كل فنٍ كتابًا؛ هذا الكتاب هو الذي يدور في فلَكه هذه طريقة مشايخنا ومنذ أن ظهرنا على الدنيا وهم **يقولون لنا ذلك**: «اجعل لك كتابًا تدور في فلكه».

كتابٌ في أصول الاعتقاد في الصِّفات كـ«الواسُطية»، وكتاب في توحيد الإلهية ككتاب «التوحيد» للشيخ محمد، وكتابٌ في الفقه وغالب المشايخ على «الرّوض» أو «الزَّاد» على حسب توجه الطالب وعنايته، وكتاب في أصول إمّا «الروضة» وغيرها «كالتحرير» أو اختصاراته، وكتاب أيضًا في علم الحديث يكون هو العمدة لك، هذا الكتاب دائمًا تكرِّرُه تجعله دائمًا حاضرًا عندك؛ هو الذي تعلق عليه وهو الذي تبين ما فيه، فتجعل لك كتابًا ملازما لك.

وكثيرٌ من مشايخنا كان له كتابٌ بعينه دائمًا يرجع له، لا يمنع ذلك أنه لا يرجع لغيره من الكتب بل يقرأ، ولكن هذا بالتكرار.

فاجعل لك كتابًا تكرر منه هذه طريقة أهل العلم، بل الذين قبلنا كانوا يفعلون ذلك والذين قبلهم هذا المعروف عندهم، عند كل واحدٍ له كتابٌ يعتني به، والشّيخ اختصرها في هذه الكلمات اللطيفة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَوْ دِرَاسَةَ تَكْرِيرٍ، بِحَيْثُ تَكُونُ المَعَانِي مَعْقُولَةً لَهُ مَحْفُوظَةً، ثُمَّ لَا يَزَالُ يُكَرِّرُ مَا مَرَّ عَلَيْهِ وَيُعِيدُهُ).

وصدق الشيخ ونصح، نصح في هذه النصيحة التي لا تعرف إلا بالتَّجربة، فأوجزها لنا الشيخ في هذه الكلمات القليلة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ورحم علماء المسلمين في كل عصر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَعَلَى المُعَلِّمِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى ذِهْنِ المُتَعَلِّمِ وَقُوَّةِ اِسْتِعْدَادِهِ أَوْ ضَعْفِهِ).

بدأ الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى بالحديث عن بعض الآداب المتعلقة بالمعلِّم، فقال: (يَنْظُرُ إِلَى ذِهْنِ المُتَعَلِّمِ وَقُوَّةِ اِسْتِعْدَادِهِ أَوْ ضَعْفِهِ)؛ يجب على المعلم أن ينظرَ لمن أمامه وهذا المُعَلِّمون يختلفون، فأنظر لمن حضر فإن كان كلُّهم على درجةٍ واحدةٍ فتكلم بما ينفع الجميع، فقد يكونون من المبتدئين أو من المنتهين أو من المتوسطين، فإذا كانوا من المبتدئين لا تتكلم بلغةٍ عالية وإن كانوا من المنتهين فلا تتكلم فيما هو فائدته عليهم ثابتةٌ؛ وإنَّما إيتهم بفوائد لا توجد لغيرهم، وإن كانوا من المتوسطين فيمكنك أن تُنقص هذه الفوائد بما يناسبهم وهذا ملحظٌ لا ينتبه له إلَّا من أجاد.

ولذلك كان من المشايخ وقد قالها لأحد المشايخ الذين ماتوا، كلاهما ماتا الشيخان رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ تَعَالَى؛ أحدهم من سبعين سنة والآخر من نحو عشرين أو **أكثر يقول**: «لمَّا حضرت عنده فترة قال لي الشيخ فلان: الذي عندي انتهى»؛ **معناه** إنك جاوزت الفئة التي أقدر عليها أنا أستطيع أن أعلم المُبْتَدِئ والمتوسط «فما عندي انتهي اذهب لفلان»، وهذا من مشايخ الرياض، **فقال له**: «اذهب لفلان فقد انتهى ما عندي من العلم».

وهذا أحبُّ مشايخ الشيخ ابن باز قال له: «اذهب للشّيخ محمد بن براهيم فقد انتهى ما عندي».

وهذا يدل على إنصاف ذلك الشيخ أولًا، وقصده نفع طالبه فانتفع طالبه وانتفع الشّيخ، انظر وذُكر بهذا الموقف إلى الآن ويُدعى له.

فالمقصود أن المعلم ينفع طالبه بالدلالة أحيانًا ليس بالشرح أو بالتحضير، فإن كان من الطّلبة من هو نجيبٌ فحضِّر، **فقد كان بعض المشايخ يقول**: «إنَّما أُحَضِّرُ لطالبٍ أو طالبين

من عموم الطلبة لأن فيهم نَجَابَةً؛ **يقول**: لأنَّ فيهم فلانـًا وفلانـًا، ولولا حضور فلانٍ وفلانٍ لما حَضرْتُ».

فيجب مراعاة حضور الطّلبة، فحضور هذا الطّالب له فضلٌ كما سيأتي من كلام المصنف بعد قليل ويجب على المعلم أن ينظر ويُقدِّر ذهن هذا الطالب.

إذن: الصعوبة الأولى: في معرفته المناسب.

الصعوبة الثانية: إذا كان المجلس مختلِطـًا؛ ففيه المبتدِئُ والمنتهي ومن كان بينهما متوسطـًا، فهنا تأتي طريقة المُجيدين للتّعليم بحيث يكون في كلامه نفع الثلاثة، ومثله قال بعض أهل العلم في مؤلفه لما جعل **كتابه قال**: «بداية المُنتهي ونهاية المُبتدي»؛ **أي**: مقتصدٌ، فجعل في كلامه فائدةً ينتفع بها المبتدي ويستفيد منها المنتهي؛ وهذه طريقة المتقدمين من المعلمين الذي يستطيع في مجلس واحدٍ أن يجمع فوائد تنفع المبتدي وتنفع المنتهي والمتوسط بينهما، وهذه تُنال بالخبرة فليست مرةً واحدةً، وإنما بالتَّدريس سنواتٍ، ولذلك المعلِّم الذي طال تعليمه تكون خبرته أكثر ممن قَصُرَ إضافةً لتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ وقد ذكر الحافظ ابن حجر عن بعض شيوخه أنّه كان يجيدُ التأليف ولا يجيد التحديث والتعليم؛ حتَّى إنه أُتُهِمَ في مؤلفاته، **قالوا**: «إذا تكلَّم ما يعرف يتكلم»؛ **يعني**: يدرس مثل المُدرسين لكنَّه ليس مجيدًا فَاتُهم **قيل**: «أنَّه ناسخ» وليس كذلك، ولكنّ الرجل صاحب قلمٍ وليس صاحب لسانٍ.

قال الشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**فَلَا يَدَعهُ يَشْتَغِلُ بِكِتَابٍ لَا يُنَاسِبُ حَالَهُ؛ فَإِنَّ هَذَا مِنْ عَدَمِ النُّصْحِ**).

هذا الذي ذكرتُ لكم -قبل قليلٍ- أنّ من نِعم الله عَزَّوَجَلَّ على الطالب أن يوفَّق لأستاذٍ يدلُّه على طرق العلمِ، ومن طرق العلم يبين له الكتاب النافع مثلما ذكر الشيخ.

وأنا أكرر وسأكرر الشيخ نصح في هذه الرسالة، واضحٌ أنّ الشيخ كتبَ لشخص يحبُّه

فالرِّسالة التي تكتب لمن يُحب؛ **يعني**: يُحِبُهُ الكاتب تجد أن فيها من الصدق وتجد فيها من الحرص على أن يعطيه من خلاصة ما في قلبه ما لا يوجد في غيرها، ولذلك عُني بعض أهل العلم المتقدمين في نصيحة الولد في كتبٍ تُسمى «نصائح الولد» من أشهرها كتاب ابن الجوزي لابنه «فلذةُ الكبد في نصيحة الولد» أظن؛ ومنها وصيّةُ الموفق ابن قدامة لأبنائه قبل أن يموت كتب لهم وصيةً تقطر عذوبة صدقًا ونصحًا لأبنائه، أوصاهم بتقوى الله وبالآداب وبالعلم.

فالمقصود من هذا أنَّ بعض النصائح تخرج لمن يُحب الشخص تجد فيها من الروح ما لا تجده فيما يُقال لعامةِ الناس؛ لأنّها خرجت من القلب.

وقد ألّف بعضهم كتاباً على هذا المعنى سمَّاه «قول من طبَّ لِمن أحبَ»؛ وهو قول من طبَّ؛ **يعني**: لمن عرف الطِّب والعلم قول من طب لمن أحب، فَلِحُبِي كتبت لك هذا الكتاب، ربّما كتبه لابنه -نسيت- في أول المقدمة هو مطبوع.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**فَإِنَّ القَلِيلَ الذِي يَفْهَمُهُ وَيَعْقِلُهُ خَيْرٌ مِنَ الكَثِيرِ الذِي هُوَ عُرْضَةٌ لِعَدَمِ الفَهْمِ وَالنِّسْيَانِ**).

هذه مهمةٌ؛ **يعني**: المعلِّم لا يحرص على كثرة القول، ويتكلم يُظهر أنه عارفٌ وفاهِمٌ ويجيد الكلام ويتقعَّر فيه، ولكن ولو كرَّر ولو أعاد وخاصةً إذا نظر لمن هو عنده، نعم التكرار في بعض الدُّروس خطأٌ لأنّ المنتهي تكرارهُ بهذه الطريقة يتعبه، فبحسب الطالب الذي أمامك قد تكرر وقد لا تكرر.

انظر دروس بعض المشايخ -عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ- بقيَ من دروسهم التَّسجيل تجده في بعض الدروس يكرِّر المسألة مرتين ثلاثة؛ لأنَّ الطالب الذي أمامه لا يفهم إلَّا بهذه الطريقة، بينما في بعض دروسه تجده ينطلق ويتكلم هكذا؛ لأنَّ الذين حضروا هم من كبار طلابه.

فنوع الحاضر يختلف فيه نوع التّدريس تجدها في بعض دروس مشايخنا -عَلَيْهِمُ رَحْمَةُ اللهِ- في التّسجيلات الموجودة لهم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَكَذَلِكَ يُلْقِي إِلَيْهِ مِنَ التَّوْضِيحِ وَالتَّقْرِيرِ لِدَرْسِهِ بِقَدْرِ مَا يَتَّسِعُ فَهْمُهُ لِإِدْرَاكِهِ**).

(مَا يَتَّسِعُ فهمه لإدراكه) **يعني:** يحرص على أن يعطيه بقدره ولا يزيد عليه ذاك الزيادة التي تزيد عن فهمه؛ **لأن عليً** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أو ابن مسعود في مقدمة مسلم على العموم قال:** «ما أنت بمحدثٍ أقوامًا حديثًا لا تدركه عقولهم إلا أصبح لبعضهم فتنةً».

فالمقصود من هذا أن الإنسان لا يعطي الناس علمًا لا يدركونه، وإن كان في بعض الأحيان يحتاج أن يبُيِّن لهم علمًا لا تدركه عقولهم من باب التأديب لهم، ليعرفوا أنَّهم لم يحيطوا بالعلم.

فإنَّ من طرق بعض المعلمين -ومذكورة منذ القدم- أنَّه لا بُدَّ أن يُبيِّن للطالب أنَّك ما زِلت قاصرًا في علمك، الشابُّ بطبعه قد يُعجب بنفسه -من الطلبة- وخاصةً إذا تعلم أوائل العلم، **فمن واجب المعلم عليه أن يُعَرِّفَ الطالب قدره ومن الطُّرق في ذلك:**

- إمَّا أن يذكره بأدب التواضع للعلم.
- أو أن يبين له عدم معرفته بالعلم فيذكر له من دقائق العلم ما لا يدركه عقله اعرف قدرك.
- أو يكون بالنصح المباشر.

وأذكر من المشايخ القدامى من توفي -عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ- كان ينصح إذا رأى من طلبته من ظهر فيه بعض هذا العُجب بنفسه؛ من يرمي عليه بعض الكلمات التي تكون مُأَدِبة كما يُؤدب الأب ابنه، وهذا من واجب المعلِّم على تلميذه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَا يَخْلِطُ المَسَائِلَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، وَلَا يَنْتَقِلُ مِنْ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ المَسَائِلِ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ حَتَّى يَتَصَوَّرَ وَيُحَقِّقَ السَّابِقَ؛ فَإِنَّهُ دَرَكٌ لِلسَّابِقِ وَلْيَتَوَفَّرَ فَهْمُهُ عَلَى اللَّاحِقِ).

هذا الكلام في غاية النّفاسة؛ وهو أن الشخص لا ينتقل من علمٍ إلى علمٍ، ومن بابٍ إلى بابٍ حتَّى في العلم الواحد حتّى يُتِّم فهم ذلك الباب، ليس المُراد كمال الفهمِ، ولا الفهم المطلق وإنَّما مطلق الفهم بحيث أنه يفهم مجملات الباب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَأَمَّا إِذَا أَدْخَلَ المَسَائِلَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ قَبْلَ فَهْمِ المُتَعَلِّمِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِإِضَاعَةِ الأَوَّلِ وَعَدَمِ فَهْمِ اللَّاحِقِ،).

صدق لأنَّ العلم بعضه مبنيٌّ على بعضٍ، وما من مسألة إلّا وهي مبنية على ما قبلها فعلى سبيل المثال في كتب الفقه يتوسّع العلماء في باب الطهارة أكثر من توسُّعهم في الأبواب التي بعده؛ لأنَّ باب الطهارة فيه مسائل يحتاجها من أراد أن يتعلَّم كتاب النِّكاح، ويحتاجها من يريد أن يتعلم مثلًا في باب العِدَدِ، مثال ذلك: عندما يتكلّمون في كتاب النّكاحِ لمّا يأتون للحديث عن الصّداق؛ فيقولون إنَّ الصّداق يستقرُّ بالدُّخول أو الخَلوة، ويأتون في باب العِدَدِ ويقولون: إنَّ العِدة للمفارقة في الحياة تثبت بالدخول أو الخلوة، وأمّا إذا طُلِقت قبل الدُّخول أو الخلوة فإنّه لا عِدة عليها لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩].

لا يذكرون في كتاب النِّكاح؛ يعني: في باب الصّداق ولا في باب العِدد يذكرون ما ضابط الخلوة إلّا بعض الشُّرّاح؛ يقول: كالطّهارة فمعناها ارجع إلى كتاب الطّهارة فيحيلونك على كتاب الطهارة ابحث هناك حتّى تجدها.

ولذلك لابد أنك لا تنتقل من بابٍ إلى باب إلا وقد فهمت الحدَّ الأدنى من فهمه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(ثُمَّ تَتَزَاحَمُ عَلَيْهِ المَسَائِلُ التِّي لَمْ يُتَحقِّقْهَا فَيَمَّلُهَا وَيَضِيقُ عَطَنُهُ عَنْ العَوْدِ عَلَيْهَا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُهْمِلَ هَذَا الأَمْرَ).

هذا الأمر مهمٌ جدًا وهو أن المرءِ لا يُأجِّل، لكن يأخذ الحد الأدنى من كل بابٍ حتّى يفهمه وينتقل للباب الذي بعده، لأنّ الشيء إذا تكاثر على الشخص فلم يفهمه استصعبه، والشخص بطبعه يستصعب الشيء إلا إذا سُهِّلَ له في البدايات ثم ارتقى به درجةً فدرجةٍ، ولذلك فإنّ الارتقاء في الدرجات هو من باب الأمل، فإذا أنهيت من الدَّرجة الأولى تأمَّلت بأن ترقى للثّانية وهكذا، **كما قال الشاعر:**

.... مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لَوْلَا فُسْحَتُ الأَمَلِ

فالعيشُ ضيقٌ وتملُ لولا أنّك تتأمل حتّى في التّرقي في العلم، سأترقى أنهيت هذه وتجد المرء إذا أنهى شيئًا وفهمه أو كتبه يجد في نفسه انشراحًا من هذا الشيء، يجد في نفسه انشراحًا ليس بالسهل، وأما إذا كان دخل عليه بعضه وجعله كلُّه جملةً واحدةً، فإنَّه قد يصاب بالإحباط والعجز؛ وهو الذي أشار إليه المصنف فيملُّها ويضيق عطنه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَعَلَى المُعَلِّمِ النُّصْحُ لِلْمُتَعَلِّمِ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالصَّبْرِ عَلَى عَدَمِ إِدْرَاكِهِ).

يقول: وعلى المعلِّم النُّصح للمتعلم، يجب عليه أن ينصحَ المتعلم بكلِّ ما يقدر عليه من التعليم والصبر على عدم إدراكه.

هذه الوصايا التي تكون للمعلِّم في الحقيقة، و انتبهوا لهذه المسألة ستتكررُ معنا ليس المعلمون فيها سواء، المُعَلِّم عل التمام هو الذي إن **كان الفقهاء قديمًا يقولون:** «تخرَّج

بفلانٍ»، فغالبـًا الشخص قد يكون درسَ، وسمِع، واستجاز، ودرس في الجامعة على عددٍ من المعلِّمين، بل لو نظرت في شيوخ بعض العلماء مثل مشيخات شمس الدّين الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى تلميذ الشيخ تقي الدين؛ صاحب المؤلفات الكثيرة، فإنَّ له أربعة معاجم مطبوعة - معاجم الشيوخ- أربعة معاجم لو عددت من عدّهم من شيوخه لا أعرف كم بالضبط، لكنّهم بالألُوف ليس حق هؤلاء عليه سواءً، **وإذا قالوا يقولون**: «تخرَّج بفلان تخرج» بشخص أو شخصين.

هذا التخرج أحيانـًا يكون بسبب طول الملازمة، وأحيانـًا يكون بسبب الانتفاع ولو قلَّتِ الملازمة.

محمدُ بن أحمد عبد الهادي لم يُلازم الشيخ تقي الدين إلا فترةً قليلةً لكن تخرَّج به.

فالمقصود من هذا الكلام -الذي أريد أن أصل له- أنَّ بعض المعلِّمين يتصل به الطَّالب اتصالًا حتَّى يتخرَّج به، ويتفقَّه عليه.

ولذلك فإنَّ أسانيد الحديث غير أسانيد الفقه؛ أسانيد الفقه ليس فيها إجازاتٌ، وإنَّما فيها تفقهٍ فيقرأ عليه الكتاب كاملًا قراءة تفقه لا قراءة جردٍ وسردٍ، فليست مطلق الإجازة؛ الفقه ليس فيه إجازات وإنما تفقه وتخرج، فمحمد الخَلْوَتي جلس عند خاله محمد بن منصور فتخرَّج به، فلانٌ جلس عند فلانٍ وهكذا لكلِّ شخصٍ شيخٌ تخرَّج به أو اثنان بالكثير أو ثلاثةٌ.

هنا يقول الشيخ: إنّ المعلم يجب عليه نصحُ المتعلم بكلِّ ما يقدر عليه من التعليم والصبر على عدم الإدراك؛ بحسب قُرْبِ ذلك المتعلم وبعده، ما يجعل الله عَزَّوَجَلَّ من الانتفاع من هذا الباب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَعَلَى عَدَمِ أَدَبِهِ وَجَفَائِهِ**).

نعم حتَّى وإن حدث منه بعض الخطإِ لابد من الصّبر، أكرم المعلمين مُعلِّم النّاس الخيرية محمدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان فيه من الصّبر على النَّاس وسؤالهم وأذاهم مالم يصبره أحدٌ من البشر أبدا، كان أحدهم يأخذ بردائهِ حتى يُؤثر جيبُ ثوب الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يؤثر في جلده عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، فبأبي هو وأمي -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- ما أكرمه وما أحلمهُ، وما أطيبه حيًا وميِّتًا.

فالمقصود من هذا أن الصبر على الناس وأذاهم، إضافةً إلَّا أنَّهُ من الاقتداء بسيِّد المرسلين -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فإنّه سببٌ لبذلِ العلم ونفع النّاس.

وكثير من الناس قل انتفاع العلم به لسبب سوء خلقه، أحد العلماء في القرن الماضي وهو من علماء اللُّغة وليس من علماء الشريعة؛ وله شرحٌ مشهور على «الكامل» لابن المُبَرِد حتّى قال بعض **تلاميذ تلاميذه وتلميذ تلاميذه مات، قال**: «إن هذا الرجل هو من آخر اللغويين على طريقة المتقدمين لم يأتي بعده أحد»؛ ولن أذكر اسمه لكيلا تكون غيبةً.

المقصود أنّ هذا الرجل **قالوا**: «لم يكن يحضر درسه إلا عشرة» لا يزيدون لا يمكن أن يزيدوا عن عشرة، **قال** أحد تلاميذه في بعض كتبه: **ولذلك أساب ثلاثة**:

۞ **من تلك الأسباب**: أنه كان ضيق العطن **أي**: كلمةٌ تأتيه يغضب منها، وكان أغلب الطّلبة لا يتحملُّون سوء خُلقه إلَّا هؤلاء العشرة، ولذلك قل انتفاع الناس به.

وكلام المصنِّف هنا في الصبر على عدم أدب التلميذ وعلى جفائه وانقطاعه سببٌ لنفع التلميذ ونفع المعلم؛ لأن التَّعليم أجرٌ عظيمٌ عند الله عَزَّوَجَلَّ فلابد للإنسان أن يصبر، وهذا من علامة الإخلاص أنَّك تريد التَّعليم وإن أُوذيت، وإن رُفع عليك الصوت بالسؤال، وإن

أخطأ عليك في الحجاج اليوم، وغدًا يندم إذا كَبُر بعد عشر عشرين ثلاثين، كم من امرئٍ سأل شيخه قبل عشرات السنين سؤالًا وَدَّ أن لم يسأله ذلك السؤال، كثيرٌ اسأل طلبة العلم الذين مرة عليهم سنين حتى جاوزوا بلوغ سن الأشُد، ستجد إنه لو تأمل في حاله لندم على بعض الأسئلة وبعض الكلام الذي قاله في أوّل أمره، لكن نفعه الله بحلم شيخه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**مَعَ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى مَا يَقُومُهُ وَيُحَسِّنُ أَدَبَهُ**).

هذا خلقٌ لا بُدّ من حسن الأدب، وقد ذكرت لكم عن بعض تلاميذ ابن عبّاسٍ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ لَهُ حَقٌّ عَلَى الْمُعَلِّمِ حَيْثُ أَقْبَلَ عَلَى العِلْمِ الذِي يَنْفَعُهُ وَيَنْفَعُ النَّاسَ**).

هذه نكتةٌ جميلةٌ جدا يكرِّرها مشايخنا دائمًا، وهو قضية أن المتعلِّم له فضل على المعلِّم **يقولون**: «لأنَّ المتعلم له حقٌ على المعلّم حيث أقبل على العلم الذي ينفعه وينفع الناس»، يجب على كل من علَّم النَّاس الخير سواءً كان في دراسةٍ نظاميةٍ أو غير نظاميةٍ؛ لأنِّي أوجِّه كلامي هذا حتى لمعلِّم الابتدائي والمتوسط والثانوي، ولمَّا قيل في بعض الأئمة من باب النبز أنَّه مُعلم صبيانٍ، **قال الذهبي في ترجمته**: «كفاه شرفًا أنَّه يعلِّم الصبيان القرآن».

فالحديث حتى في المدارس النِّظامية كذلك، هذا المعلِّم يحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن ساق الله لك هذا التلميذ إليك، كم من امرئٍ وجد في نفسه حَصْرَةً أن لم يأتيه سائلٌ؛ من السلف ومن بعدهم كلمة يقولها كثير حتى نقلها ابن أبي خيثمةَ في «تاريخه» عن بعض المتقدِّمين من طبقة التابعين وكررها بعده كثيرٌ، منهم يقول: «في نفسي حصرةً، أن في صدري كذا وكذا علمًا»؛ لأن كل واحد يختلف العلم الذي في صدره، بعضهم يقول ثلاثة علوم، وبعضهم يقول خمسة وبعض مشايخ مشايخنا، **يقول**: «في صدري عشرة علومٍ لم يسألني عنها أحدٌ»، **يقولُ**:

«تعلمت وتعبْتُ وحصَّلتُ وفُقْتُ، ولم يأتِي أحدٌ يسألني حتَّى السؤال».

وقد جاء أن بعض السلف وهو سفيان -أظن الثوري أو غيره- دخل مكة فلم يأتِه أحدٌ يسأله في العلم فتعلق بأستار الكعبة قال: «يا ربِّ يا ربِّ بأي ذنب لم أسأل».

نعمة من الله عَزَّوَجَلَّ لكن إذا كنت متأهلًا، لا تكن متصدرًا من غير تأهلٍ انتبه! فرق يا شيخ أنا أكلمك عن سفيان؛ لا أكلمك عن آحاد الناس، أنا أكلِّمك عن سفيان عن فلانٍ وفلانٍ ممَّن أشار لهم القاصي والداني فلا تجعل نفسك منزلة سفيان، لكن أتكلم عن المتأهل.

أنت أن يأتي هذا الطالب عندك في المدرسة أبوه وأمه يأتيان به إليك في فصل هذا الطالب يأتي باختياره ويحضر إليك في المسجد، نعمةٌ من الله فله فضلٌ عليك.

كثير من المشايخ -عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللهِ- أتذكرهم إلى الآن، إذا قلنا له جزاك الله خيرًا يقول: «أنتم جزاكم الله خيرًا جئتموني في البيت تقرؤون، أنتم تذكرونني بالعلم، أنتم تدعوني أكتسب العلم، أجدِّدُ العلم أكتسب الأجر أنتفع أبحث أُذَاكِر».

فالمعلِّم دائمًا يستشعر هذا الأمر؛ أن الفضل للطُّلاب كما أن لك فضلٌ، ربُّما أحد الطرفين يكون أعظم فضلًا علمه عند الله بحسب النية.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعَالَى:

(وَحَيْثُ تَوَجَّهَ لِلْمُعَلِّمِ دُونَ غَيْرِهِ).

نعم دون غيره ولم ينشغل بغيره من الناس.

(وَحَيْثُ كَانَ مَا يَحْمِلُهُ مِنَ العِلْمِ هُوَ عَيْنُ بِضَاعَةِ المُعَلِّمِ يَحْفَظُهَا وَيُنَمِّيهَا).

يقول وخاصةً أنه جاء كثير ما تحسنُ فإن بضاعتك هذا العلم الذي سألك عنه سواءً من علوم الشريعة أو من علوم الآلة، وبتعليمك إيَّاه ينمو علمك، وتزيدهُ إذ العلم يزيد بالبدل.

(وَيَطْلُبُ بِهَا المَكَاسِبَ الرَّابِحَةَ، فَهُوَ الوَلَدُ الحَقِيقِيُّ لِلمُعَلِّمِ الوَارِثُ لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَبۡ لِي

مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥ - ٦].)

❁ طيب هذه المسألة مهمةٌ وهي قضية أن الابن نوعان:

- ابن صلبٍ.
- وابن علمٍ.

ولذلك يقولون: «العلم رحم بين أهله»، فمن علَّم غيره علماً؛ فإنه يكون مثل ابنه كما أن المرء ينتسب لأبيه في النَّسب فإن المرء ينتسب لشيخه في العلم.

ولذلك إذا أراد أن يذكر **قال**: «لا يفتخر بعلمه وإنّما نقلتها عن فلانٍ روايةً أو درايةً»، فهماً أو نقلًا فالعلم نسبٌ ورحمٌ بين أهله كرحمِ نسب الولادة، ولذلك جاء في دعاء زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥ - ٦].

والمراد بالوِراثة هنا: وراثةُ العلم والحكمة، والسبب أنَّ آل يعقوبٍ قبله لا يرث منهم شيئاً وإنَّما يرث من أبيه فقط لو كان وراثة المال، **فدل ذلك** على أن المراد بالإرثِ هنا وراثةُ العلم والحكمة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**فَالمُعَلِّمُ مُثَابٌ مَأْجُورٌ عَلَى نَفْسِ تَعْلِيمِهِ، سَوَاءٌ فَهِمَ أَوْ لَمْ يَفْهَمْ**).

يعني: سواءً فهم الطالب أو لم يفهم سواءً انتفع الطالب أولم ينتفع، قد تعلمه ولا ينتفع لأي سبب من الأسباب العوارض البدنية أو النفسية أو الوفاة أو غير ذلك من الأسباب، أنت مأجورٌ على مطلق التعليم، **أقول هذا لمَ؟**

لأنَّ بعض الناس لا يريد أن يعلِّم إلا النَّجيب، ولا يريد أن يعلِّم إلا المتميِّز لكي يُقال حضر فلانٌ وفلانٌّ، من بركة العلم أن تعلِّم كل أحدٍ، من بركة العلم أن تعلِّم فقراء النَّاس قبل أغنيائهم، بل إنّ الغالب على طلبة العلم كما ذكر ذلك بعض المؤلفين في الأدب وهو

العبّاسي أن الغالب على طلبة العلم المبتدئين أن يكونوا أهل فقرٍ -الغالب عليهم الفقر- الفقير هو الذي يريد أن يتعلّم الغنيُّ غالبًا منشغلٌ بتجارته، لكنَّ الغالب على المُبْتَدِي أن يكون ذا فقرٍ.

ولذلك الإنسان يعلِّم الفقير قبل الغنيِّ، يحرص على تعليم من لا يعلِّمه أحد أكثر من حرصه من يُقْصَدْ بالتعليم، هؤلاء الذين يجهد الناس في تعليمهم لنظر الناس لهم نظرًا معينًا، لكونه -لا نقول من طبقة العمّال- لكونهم مثلا من المنشغلين بأمور الدنيا احرص على تعليمهم، اذهب للأماكن التي يزهد فيها غيرك فعلِّم الناس فيها.

السَّلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ **لما جاء بعض أبناء الخلفاء: «أسمعه في الحديث، قال:** لا أجعل له مجلسًا خاص بل يحضر مع الناس»، **قال:** «اجعل له يومًا»، **قال:** «طيِّب اليوم الفلاني، فلمَّا جاء إذا بالمجلس ممتلئٌ»، **قال:** «لأنّ العلم لا يكون فيه بركةٌ إلا أن يكون للعموم لا لأحد دون أحدٍ».

أن قصدي من هذا؛ أنت يعني: يجب أن يكون تعليمك إذا كنت معلمًا بحسب ما عندك من العلم، وأنا أُكرر إيّاك إيّاك إيّاك ثالثة أن تتكلم في علمٍ لا تحسنهُ، ما أفسد هذا الدِّين إلَّا من تكلم في شرع الله عَزَّوَجَلَّ بجهلٍ، والله لو أنَّ كل جاهلٍ سكت ما حدث في الإسلام فتنةٌ، هذا التَّكلم بجهلٍ؛ هذا مصيبة المصائب وآفة الآفات، فالإنسان يجب أن يعرف نفسه وأن ينزل نفسه منزلتها، وما أنزله أهل الفضل والحق إيّاها: أمَّا التَّعالم، والتَّقدُّم، وإنزالُ النَّفس منزلةً فوق منزلتها هذا فسادٌ لدين المرء وإفسادٌ لغيره.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تَعَالَىٰ:**

(**فَإِذَا فَهِمَ مَا عَلِمَهُ وَانْتَفَعَ بِهِ بِنَفْسِهِ وَنَفَعَ غَيْرَهُ كَانَ أَجْرًا جَارِيًا لِلْمُعَلِّمِ مَا دَامَ ذَلِكَ النَّفْعُ مُتَسَلْسِلًا مُتَصِلًا**).

الله، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يغفر لنا ولوالدينا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَهَذِهِ تِجَارَةٌ بِمِثْلِهَا يَتَنَافَسُ المُوَفَّقُونَ**).

الله أكبر الله أكبر، كلامٌ في غاية النَّفاسة إلى الآن النّاس يذكرون الأئمة من الصّحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- ويذكرون كبار التَّابعين وينقلون علمهم وعلم من بعدهم، ويذكرون الأئمة الأربعة ويذكرون أعيان المسلمين، يُذكرون على أعواد المنابر، ويُذكرون في المساجد ويذكرون في حِلق العلم، قد يكونون فقراء في زمانهم كم من امرئٍ منهم مات فقيرًا مُعدمًا غريبًا مطرودًا، ولكن أراد الله عَزَّوَجَلَّ رفع علمه ورفع ذكرهِ بسبب هذا العلم الذي فيه كلام الله عَزَّوَجَلَّ وحديث النّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وقد جاء في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، **أي**: ذكرك وذكر من عُنِيَ بسنَّتك ففضل الله عَزَّوَجَلَّ على أهل العلم عظيمٌ، ولو أن الناس عرفوا فضل العلم والتعليم لزاحم الناس كلُّهم طلبة العلم على تحصيل العلمِ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**فَعَلَى المُعَلِّمِ أَنْ يَسْعَى سَعْيًا شَدِيدًا فِي إِيجَادِ هَذِهِ التِّجَارَةِ وَتَنْمِيَتِهَا، فَهِيَ مِنْ عَمَلِهِ وَآثَارِ عَمَلِهِ، قَالَ تَعالَى**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. **فَـ** ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾: **مَا بَاشَرُوا عَمَلَهُ**، ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾: **مَا تَرَتَّبَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ مِنَ المَصَالِحِ وَالمَنَافِعِ أَوْ ضِدِّهَا**.).

الله أكبر الله أكبر؛ كلامٌ في الحقيقة في غاية النفاسة، **يعني**: أن الإنسان إذا كان عمله خالصًا لله قبل كل شيءٍ، وبنيةٍ صالحةٍ، ثم إن الله عَزَّوَجَلَّ وفقه ليُنتفع بعلمه.

إِذَا لَمْ يَكُنْ عَوْنٌ مِنَ اللهِ لِلْفَتَى	فَأَوَّلُ مَا يَجْنِي عَلَيْهِ اجْتِهَادِهِ

وفقّه لتعليم الناس الخير وتبصرتهم بدين الله عَزَّوَجَلَّ وشرعه، يعلّمهم كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهذا في الحقيقةِ الذي نال الخير بطرفيه، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ما رفعت لأولي العلم الدرجات بأمورٍ منها: النّية، ومنها مقدار انتفاع الناس من هذا العلم؛ وهذا الأمر الثاني منفصلٌ على النية، لأن بعض الناس يُكرِّر كلمة إنّ الرسالة الفلانية لفلانٍ اشتهرت لنِيّة مؤلِّفها، قد يكون فيها لمزٌ بغيره **نقول**: لا هذا توفيق الله عَزَّوَجَلَّ إن شاء الله نيته صالحة، لكن مع النّية الصالحة التوفيق من الله عَزَّوَجَلَّ فادعُ أن الله عَزَّوَجَلَّ ينفع بتعليمك، وادعُ أن الله ينفع بتأليفك، وادعُ أن الله ينفع بكلامك على المنبر، كلمتك على أعواد المنبر قد ينفع الله عَزَّوَجَلَّ بها من حيث لا تعلم، الطُفَيْل ابن عَمرٍو سمع من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمة فذهب إلى قومه من دوسٍ، فأسلموا بسبب كلمةٍ واحدةٍ سمعها من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فما تدري كلمةٌ تلقيها تكون لك فيها رفعةٌ في الدنيا والآخرة وأنت لا تعلم.

لا يلزم أن يقال فلانٌ ابن فلان ابن فلانٍ، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم، لله عَزَّوَجَلَّ عبادٌ أخفيةٌ لا يذكرون، علماءٌ لا يذكر اسمهم لا في تراجم ولا في غيرها ربّما كان أجرهم ساعيًا ومُستمرًا لهم إلى قيام الساعة بسبب ما بذلوه من العلم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(وَلْيُرَغِّبِ الْمُتَعَلِّمَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَلَا يُمِلَّهُ بِاشْتِغَالِهِ بِمَا يَعْسُرُ عَلَى فَهْمِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَمُفْرَدَاتِهَا).

وهذه طريقةٌ لطيفةٌ جدًا أنَّ المعلِّم يُغير الطرق ولا يجعله طريقةً واحدةً، فإنّ طريقةً قد تنفع مع بعض الناس والطريقة الأخرى مع غيرهم، فيغير وينوِّع فإن التغير يكون بوسائل إما

بطريقة الإلقاء، فيجعل مرةً بطريقة السؤال والجواب، ومرةً بطريق البحث ومرة بطريق هكذا يعدد من الطرق المُتعددة في التحصيل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(وَعَلَى المُتَعَلِّمِ أَنْ يُوَقِّرَ مُعَلِّمَهُ وَيَتَأَدَّبَ مَعَهُ حَسْبَ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِمَا لَهُ مِنَ الحَقِّ العَامِّ وَالخَاصِ).

بدأ المصنف يتكلم عن حقوق المعلِّم على المُتعلم، نعم وهذا يشمل كل معلمٍ ولو كانت نظاميةً مادام قد علمك الخير.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَمَّا العَامُّ فِإِنَّ مُعَلِّمَ الخَيْرِ قَدْ اِسْتَعَدَّ لِنَفْعِ الخَلْقِ بِتَعْلِيمِهِ وَفَتْوَاهُ، فَحَقُّهُ عَلَى النَّاسِ حَقُّ المُحْسِنِينَ، وَلَا إِحْسَانَ أَعْظَمَ وَأَنْفَعَ مِنْ إِحْسَانِ مَنْ يُرْشِدُ النَّاسَ لِأَمْرِ دِينِهِمْ، وَيُعَلِّمَهُمْ مَا جَهِلُوا وَيُنَبِهَهُمْ لِمَا غَفَلُوا، وَيَحْصُلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الخَيْرِ، وَانْقِمَاعِ الشَّرِ وَنَشْرِ الدِّينِ وَالمَعَارِفِ النَّافِعَةِ، مَا هُوَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْمَوْجُودِينَ وَمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ ذُرِّيَتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ).

هذا الكلام للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى يقول: إن من فضل المعلِّم على عموم الناس؛ أنّه قد دلّهم إلى الخير وذلك أن من شرف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه رسولٌ أُرسل للنّاس بالهُدى والدين.

ولذلك فضل النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على النَّاس بسبب النُّبوة والرِّسالة ما أرسله الله عَزَّ وَجَلَّ به للنَّاس، فالله عَزَّ وَجَلَّ اصطفاه بالنبوة والرسالة؛ خلافًا لمن قال من بعض الطوائف من الفلاسفة وغيرهم أن النبوة تُنال بالرياضة؛ فتكون مكتسبة وهذا من أبطل الباطل، وإنما النبوة بالاصطفاء الله يصطفى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الملائكة ومن الناس.

فالمقصود أن النبوة والرسالة اصطفاءٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا الاصطفاء سُميت الرسالة

فضلها لما أرسلوا من الخير؛ فتعليم الناس الخير، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم كما في الحديث الصحيح فمن أخذه أخذ بنصيب وافرٍ، أخذه أي: تعلَّمه وعلَّمه فإن هذه وظيفة الأنبياءِ، العلمُ والتعلُّم الإِنْبَاء نُبِّأَ أي: أُخبِر وأُرسِلَ، عَلِمَ وعَلَّمَ على أحد التأويلات في الفرق بين النبيِّ والرَّسول.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَلَوْلَا العِلْمُ كَانَ النَّاسُ كَالبَهَائِمِ فِي ظُلْمَةٍ يَتَخَبَّطُونَ، وَفِي غَيِّهِم يَعْمَهُونَ).

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَهُوَ النُّورُ الذِي يُهْتَدَى بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَالحَيَاةُ لِلْقُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ وَالدِّينِ وَالدُّنْيَا).

لا شكَّ أن النَّاس نُورهم بحسب علمهم بالله وبشرع الله بكلامه وما أوحاهُ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السنة وما فُهِمَ منها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالبَلَدُ الذِي لَيْسَ فِيهِ مَنْ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ لِمَا يَنْتَابُهُمْ مِمَّا هُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ، لَا خَيْرَ فِي الإِقَامَةِ فِيهِ. فَمَنْ هَذَا إِحْسَانُهُ وَأَثَرُهُ كَيْفَ لَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ مَحَبَّتُهُ وَتَوْقِيرُهُ وَالقِيَامُ بِحُقُوقِهِ؟).

قول المصنف: (وَالبَلَدُ الذِي لَيْسَ فِيهِ مَنْ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَمْرَ دِينِهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ لِمَا يَنْتَابُهُمْ مِمَّا هُمْ مُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ، لَا خَيْرَ فِي الإِقَامَةِ فِيهِ)؛ هذا الكلام مسبوقٌ إليه، وممَّن قاله جماعة من السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى من طبقةِ تابعي التابعين ومن بعدهم وانتشر بينهم هذا الكلام، فالإنسان يحرص على أن يكون في بلد فيه مُفتين.

ولذلك لما تكلّم الأصوليون عن المُفتي إذا كان في بلدٍ فيه غيره **قالوا**: «جاز له ردُّ الفتوى

وعدم الإفتاء اختيارًا»؛ يجوز له ألّا يفتي مادام في البلد غيره، **قالوا**: «وإن كان في البلد ليس فيها إلا فقيهٌ واحدٌ تعين عليه الإفتاء إن اجتهد وظهر له الحكم»، **قالوا**: «وإن لم يكن في البلد فقيهٌ فإنه يكره الإقامة فيه».

يلزمك أن تكون في بلد فيه فقيه يعلمك دينك ويُبين لك الأحكام عند الحاجة، ومن نِعم الله عَزَّوَجَلَّ على الناس وسائل التواصل الآن، فإنك ولو كنت في وسطِ الصحراء ولا صاحب لك ولا جليس يمكنك أن تسأل من يُبيِّن لك بعض أحكام دينك، لكن لا يُغنيك عن رؤيةِ الفقيه لأن الفقيه قد يرى خطأً تظنُّه صوابًا فيصحِّحه ويتكلُّم من غير سؤالٍ، فتنتفع بكلامه المُبتدى الذي لا يكون ناشئًا عن سؤالٍ، فتنتفع بالابتداء ما كنت تظنُّه صوابًا، إضافةً لما يتعلق بهديه ودلِّه فيكون الانتفاع به أكثر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَأَمَّا حَقُّهُ الخَاصُّ عَلَى المُتَعَلِّمِ فَلِمَا بَذَلَهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ، وَالْحِرْصِ عَلَى مَا يُرْشِدُهُ وَيُوصِلُهُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ).

بدأ يتكلم في الحقِّ الخاص المتعلق بالمُتَعَلِّم ليس على عموم الناس، **قال**: لأجل أنه بدله في تعليمه وحرص على إرشاده، وتعليمه ما يوصله إلى أعلى الدرجات وهو الفقهُ في الدين.

يقول الشيخ: **(فَلَيْسَ نَفْعُ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ نَظِيرًا لِنَفْعِ المُعَلِّمِينَ المُرَبِّينَ لِلنَّاسِ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ)**؛ بل قد يكونا مستوينَ في الدرجة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(البَاذِلِينَ نَفَائِسَ أَوْقَاتِهِمْ وَصَفْوَةَ أَفْكَارِهِمْ فِي تَفْهِيمِ المُسْتَرْشِدِينَ بِكُلِّ طَرِيقٍ وَوَسِيلَةٍ يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا).

لا شكَّ في ذلك وإذا نظرت في حال بعض التلاميذ مع شيخهم مثل ابن القيم مع شيخه

تقي الدين ابن تيمية، وما تكلَّم عنه ممّا انتفع به وكيف أن الله عَزَّوَجَلَّ نجّاه من براثنِ الجهل وأدخله في نور العلم، تعرفُ ما قاله خبيرٌ بحاله، وبصيرٌ بحال أهل العلم وذو بيانٍ يستطيع أن يعرب عمّا في نفسه -وهو ابن القيم- عمّا ينفع الله عَزَّوَجَلَّ به التلميذ من شيخه.

وقلت أنّ المشايخ ليسوا درجةً واحدةً، بل بعضهم أعلى من بعضٍ، **والمقصود** أكملهم من تخرَّج به مثلما تخرج ابن القيم بشيخه؛ الشيخ تقي الدين.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِذَا كَانَ مِنْ أَحْسَنَ إِلَى الإِنْسَانِ بِهَدِيَّةٍ مَالِيَةٍ يَنْتَفِعُ بِهَا، ثُمَّ تَذْهَبُ وَتَزُولُ، لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَى الْمُحْسَنِ إِلَيْهِ، فَمَا الظَّنُّ بِهَدَايَا العِلْمِ النَّافِعِ الكَثِيرَةِ الْمُتَنَوِّعَةِ؛ البَاقِي نَفْعُهَا مَا دَامَ الْعَبْدُ حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ الْمُتَسَلْسِلُ بِحَسْبِ حَالِ تِلْكَ الهَدَايَا، فَحِينَئِذٍ يَعْرِفُ حَقَّهُ وَيُوَقِّرُهُ وَيُحْسِنُ الأَدَبَ مَعَهُ).

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**مَنْ أَهْدَى لَكُمُ هَدِيَة فَكَافِؤُوه فَإِن لَمْ تَجِدُوا فَدْعُوا لَهُ**».

ولذلك فإنّ الدعاء لمن استفدت منه علماً هذا من أقل ما يُجزى به، وقد جاء عن بعض العلماء وهو **رِزْقُ الله التَمِيمي الحنبلي أنه كان يقول**: «يَقْبُحُ بكم أن تستفيدوا منَّا ولا تترحموا علينا».

ولذلك كان من طريقة العلماء عند تأليفهم أنّهم يدعون لأنفسهم ولوالديهم ولمشايخهم، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحم مشايخنا ويرحمهم برحمته ويدخلنا معهم في جنّة النّعيم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَا يَخْرُجُ عَنْ إِشَارَتِهِ وَإِرْشَادِهِ، وَلْيَجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَأَدِّبًا، وَيُظْهِرُ غَايَةَ حَاجَتِهِ إِلَى عِلْمِهِ).

نعم هذه؛ قوله: (وَلَا يَخْرُجُ عَنْ إِشَارَتِهِ وَإِرْشَادِهِ)، ليس كما يدّعي الطُرُقِية أن يكون مثل المُريد، فيكون مثل الميت يقلِّبه المُغسِّل لا لا.

المقصود إشارته بما يتعلق بالعلِّم وفيما ينفعه، فيخرج عن الإشارة العامة، وأمّا التفاصيل فإنّ المعلِّم لا يدخُل أصلًا في التّفاصيل، ولا يدخل فيما ليس له الدخول فيه، وإنّما يتكلّمُ في أمور العلم، فأقلُّ الأحوال ألَّا يخرج عن إشارته وإرشاده في مجلس العلم؛ هذا أقل الأحوال وأمّا خارجه فإنّه يفعل ما شاء حيث شاء.

قال: (وَلْيَجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَأَدِّبًا)، فجلوس الأدب في حِلق العلم مهمةٌ، وهذه تختلفُ البلدان فيها، فإنّ بعض الأعراف في أزمنةٍ ما كانوا يشترطون هيئةً معينةً مثل: التحلُّق ويمنعون غير التحلُّق، وهذا كان في وقتنا إلى زمانٍ قليلٍ، ويمنعون الطالب أن يكون بعيدًا، لكن الآن لما جاءت هاته اللّاقطات، فأصبحت أغلبُ الدُّروس على هيئة صفوفٍ فهذه من طرق الجلوس.

وفي بعض البلدان وهي بلدان علمٍ، قد يكون الطلبة حاضرين للدّرس وهم مضطجعون على جنوبهم، فمادام العرف قد جرى بذلك فإنَّه لا سوء أدب في ذلك، ولكن إن كان العُرف خلاف ذلك، فليس هذا من الأدب في حضور مجالس العلم، فليس الاضطجاع أو النوم في أثناء الدرس من الأدب؛ بل إن المعلِّم إذا رأى مثلَ هذه الهيئةِ رُبَّما انقبضت نفسه فلم يستطع أن يبذل كل ما في نفسه.

ولذلك إذا أردت أن تستفيد من شيخك أكثر سواءً في الدراسة النظامية أو في غيرها، فأظهر له الاهتمام، بأن ترمُقه بعينكَ، أو أن تُدَوِّن ما يقوله أو نحو ذلك من وسائل إظهار الاهتمام، أما إن أظهرت عكس ذلك كالانشغال بكتابٍ، أو تلفتٍ، أو بأجهزة الاتصال حاليًا فإنك تُرسل رسالة -كما يُقال سلبيةً- إلى ذلك المعلِّم أن انقضي بسرعةٍ، وأنّ كلامك في

الأهمية دون ذلك، وأنّه لا تظهر كل ما عندك وإنما اقتصر على أقل الواجبِ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَدْعُو لَهُ حَاضِرًا وَغَائِبًا).

هذه ذكرناها قبل قليلٍ؛ مناسبة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِذَا أَتْحَفَهُ بِفَائِدَةٍ وَتَوْضِيحٍ لِعِلْمٍ فَلَا يُظْهِرُ لَهُ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَهُ قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ عَارِفًا لَهُ).

وقد جاء عن عطاء أنه قال: «إنَّ الرّجل يُحدثني بالحديث أعلَمه ولكنِّي لا أظهر له ذلك».

هذا أدبٌ مع كل المسلمين وخاصةً المعلِّم؛ إذا قال لك مسألةً أظهر له أنَّ هذه المعلومة جديدةً؛ يُظهر لك ما لم تكن تعلمه، وأمَّا إذا أظهرت له أنَّك تعرف هذا العلم **يقول:** خلاص ليش أتكلم؟ الذي عندك يكفي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَلْ يُصْغِي إِلَيْهِ إِصْغَاءَ الْمُتَطَلِّبِ بِشِدَّةٍ إِلَى الْفَائِدَةِ، هَذَا فِيمَا يَعْرِفُهُ؟! فَكَيْفَ بِمَا لَا يَعْرِفُهُ؟).

هذا فيما يعرفه، فكيف بما لا يعرفه؟ فيجب عليه أن يكون أشدَّ إصغاءً، وأكثر أدبًا وحرصًا على إظهار الاستفادة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلِهَذَا كَانَ هَذَا الْأَدَبُ مُسْتَحْسَنًا مَعَ كُلِّ أَحَدٍ).

مستحسنًا مع كل أحدٍ كما **قال عطاء:** «إن الرّجل يحدِّثني بالحديث أعلمه قبل أن يولد»، ولكن من الأدب كأنّه أول مرة يسمع هذا الخبر.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلِهَذَا كَانَ هَذَا الْأَدَبُ مُسْتَحْسَنًا مَعَ كُلِّ أَحَدٍ فِي الْعُلُومِ وَالْمُخَاطَبَاتِ وَفِي الْأُمُورِ الدِّينِيَةِ وَالدُّنْيَوِيَةِ)؛ الله أكبر صدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَإِذَا أَخْطَأَ الْمُعَلِّمُ فِي شَيْءٍ فَلْيُنَبِّهُ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ بِحَسْبِ الْمَقَامِ).

يقول: أن المعلم إذا أخطأ فالنّصيحة له نصيحة في الدين ولا شك، هذا الخطأُ أحيانًا قد يكون خطأً دُنيويًا مثل: أن تسقط عباءته مثلا، أو أن يظهر شيءٌ من جسده لا يرغب بإظهاره كأن تنحصر العمامة عن رأسه؛ بعض الأعراف أن انحصار العمامة عن الرأس قد يكون ليس أدبًا ظهور جزءٍ من جسده؛ وهكذا من أشياء هذه أدبٌ.

أو أمرٌ شرعيٌ، مثل أن يكون فاته شيءٌ معين **فيقول المصنف**: (وَإِذَا أَخْطَأَ الْمُعَلِّمُ فِي شَيْءٍ فَلْيُنَبِّهُ بِرِفْقٍ)؛ **يعني**: بعدم غلظةٍ.

(وَلُطْفٍ بِحَسْبِ الْمَقَامِ)؛ الذي هو فيه وكلُّ شخص يعرف المقام الذي يناسب ذلك، إمَّا بعده أو أثناءه أو بأيِّ وسيلة تُناسب ذلك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلَا يَقُولُ لَهُ: أَخْطَأْتَ، أَوْ لَيْسَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ).

نعم الوسائل كثيرةٌ جدًا، ولكن هذه الطَّريقة تجعلُ المعلِّم يَنقبضُ بعض الشَّيء.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(بَلْ يَأْتِي بِعِبَارَةٍ لَطِيفَةٍ يُدْرِكُ بِهَا الْمُعَلِّمُ خَطَأَهُ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَشَوَّشَ قَلْبُهُ).

يعني: بأي طريقةٍ يقول: نقرأ من الكتاب وهكذا، **يعني**: لا تُظهر للنّاس أنَّك صوبت وإنّما صوِّب من غير أن يعلم الآخرون.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْحُقُوقِ اللَّازِمَةِ، وَهُوَ أَدْعَى لِلْوُصُولِ إِلَى الصَّوَابِ، فَإِنَّ الرَّدَّ الَّذِي يَصْحَبُهُ سُوءُ الْأَدَبِ، وَانْزِعَاجُ الْقَلْبِ يَمْنَعُ مِنْ تَصَوُّرِ الصَّوَابِ مِنْ قَصْدِهِ).

نعم قد لا يتصور الفهم جيدًا وقد يتعصب لرأيه؛ لأنَّ النفس البشرية لها حظُّها.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَكَمَا أَنْ هَذَا لَازِمٌ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ، فَعَلَى الْمُعَلِّمِ إِذَا أَخْطَأَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَمْنَعُهُ قَوْلٌ قَالَهُ ثُمَّ رَأَى الْحَقَّ فِي خِلَافِهِ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحَقِّ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ هَذَا عَلَامَةُ الْإِنْصَافِ وَالتَّوَاضُعِ لِلْحَقِّ، فَالوَاجِبُ اتِّبَاعُ الصَّوَابِ سَوَاءٌ جَاءَ عَلَى يَدِ الصَّغِيرِ أَوْ الكَبِيرِ).

نعم كلامٌ جميلٌ جدًا؛ الإنسان يجب عليه الرجوع للحقِّ، ويجب على الإنسان أن يُعوِّد نفسه أن تكون رجاعةً للحق، كثيرٌ من النَّاس يرى أنّ من العيب أن يُرد عليه خطؤه، وأن يُصوَّب.

.... كَفَى بِالْمَرْءِ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

ما من أحدٍ إلا ويخطأُ ويصيب إلَّا محمدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إن علماء الأمة مختلفون، هل يقع منه اجتهادٌ أم لا في غير الأمور الدنيوية؟ وإذا وقع منه اجتهادٌ هل يخطأ أم لا؟ ومن قال بخطإِ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اجتهاده؛ فإنهم مجمعون على أنه إذا أخطأ فلابد أن يُصَوَّب بوحيٍ.

فالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن أخطأ لابُد أن يصوَّب لا يستمر خطؤه.

إذن: الاتجاهات ثلاثةٌ:

- أنه لا اجتهاد منه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- أنه يجتهد وإن اجتهد أصاب مُطلقـًا؛ وهذا قال بـه جماعـةٌ مثـل ابـن اللّاحـم وغيـره، قـال: «والحقُّ أن اجتهاده لا يُخطأُ».
- وبعضهم قال -وهـو مشـهور قـول أكثر أصـحاب أحمـد- أنه قـد يُخطأ في اجتهـاده لكنّـه بإجماعٍ لا يُقَرُّ على خطئِه.

هذا في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقامهُ عليٌ فمنِ باب أولـى يجب علـى الإنسـان أن يعلـم أنّ قوله يطرأُ عليه الخطأُ فلابد أن يرجع، وأن يكون رجّاعـًا للحق.

هنا أنهى المصنف ما يتعلق بحقِّ المعلِّم على المتعلِّم وهـو تلميـذه، وبـين الشـيخ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أن حقَّ المُعلم شبيهٌ بحقِّ الأب، ولذلك فإنّ الابن إذا فقـد أبـاه وجـد في نفسـه مَوْجِـدَةً، ووجد في نفسه فقدًا لأبيه.

وكذلك إذا فقد شيخه الذي انتفع به، مثلما **قال شُعْبَة**: «إنَّما النَّاس بشيـوخهم، فـإذا ذهـب علماؤهم وشيوخهم فلا خير فيهم».

كان بعض أهل العلم يقول: «لما ذهب الأشياخ تغيَّرت الدُّنيا في عيني».

تتغير الدُّنيا في عين بعض النّاس إذا ذهب أشياخهم، من النِّعم أن يكـون للشـخص والـدانِ حيَّين، ومن النِّعم أن يكون للشخص شيخٌ حيٌ، فشيخك الذي ترجع إليه الذي كبر سنُّه بقاؤهُ وانتفاعك به ورجوعك إليه، وسُؤالُك له، وإحساسك معه بتلك الفائدة من أعظم الأشياء.

ولـذلك مـن كـان لـه شـيخٌ فـلا ينقطـع عـن شـيخه الـذي تخـرَّج بـه، ويسـتمر في مجالسته والقراءة عليه، وكـان الشـيخ ابـن بـاز باعتبـاره أشـهر المشـايخ عنـدنا في الرِّيـاض، كـان الشـيخ يُدرس وبعض الذين يحضرون بعِمتهم؛ يحضر بالعِمة، أهـل العمـة مـن زمـان تركوهـا النـاس عندنا، بعضهم أكبر من الشيخ سِنـًا، وبعضـهم وصـل في سنِّه إلـى السـبعين ويحضـر الـدرس وبعضهم يقرأ وهو فوق السبعين.

فلذلك الاستمرار على التعلُّم مادام شيخك الذي انتفعت به قد مدَّ الله في عُمُرِه واستمرَّ، فالحضور عنده وعدم الانقطاع وعدم الإعجاب بالنفس نعمةٌ، نعمةٌ من حيث الانتفاعِ ونعمةٌ من حيث أُنسِك وبرِّك بهذا الأبِ؛ أبُ العلم غير أب النسب، الذي يشُابه أب النسب في بعض الحقوق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى المُعَلِّمِ أَنْ يَجِدَ مِنْ تَلَامِيذِهِ مَنْ يُنَبِّهُهُ عَلَى خَطَئِهِ وَيُرْشِدَهُ إِلَى الصَّوَابِ، وَيَزُولُ إِسْتِمْرَارُهُ عَلَى جَهْلِهِ، فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى شُكْرِ اللهِ ثُمَّ إِلَى شُكْرِ مَنْ أَجْرَى اللهُ الهُدَى عَلَى يَدَيْهِ مُتَعَلِّمًا أَوْ غَيْرَهُ**).

اللهُ أكبر، هذا من نعم الله عَزَّوَجَلَّ -كما مرَّ معنا- أن يكون من الطلبة لا مطلق الطلبة؛ بل أن يكون من الطلبة من هو نابهٌ، هذه نعمةٌ، وكم من الشُّيوخ إنّما ارتفع بسبب تلميذه، بعض الشيوخ إنما ارتفع لأن تلميذه رفع ذكرهُ ففي كلِّ مصنَّفٍ من مصنفاته **قال**: «قال شيخُنا فلانٌ»، و«ذكره شيخنا فلانٌ»، و«أورده شيخنا فلانٌ»، وفي الذِّهن عددٌ من الأسماء من المتقدِّمين والمتأخرين، إنّما رفع له ذكر الشّيخ بنجابةِ التِّلميذ وهذه من مِنن الله لا تقول أنا سأبحثُ عن النُجباء من الطلاب دون من عداهم، لا، من مِنَن الله عَزَّوَجَلَّ، مِنَن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الله هو الذي يمتنُّ بالطالب النَّجيب، فاسأل الله عَزَّوَجَلَّ العلم النافع فقط، أنت عليك السؤال و بدل الأسباب، **أقول هذا لما**؟

لأنِّي أكرِّرُ من بعض طلبة العلم النُّجباء من يأبى التّدريس إلا على من يرى أنه نجيبٌ، ويرى أنه يحسن الفهم، وأنَّهٌ سيكونُ وسيكونُ، لا أنت علِّم الناس الخير والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ هو الموفق.

يعني: أضرب مثالا من المتأخرين الشيخ حافظ حكمي ملأَ الدُّنيا شرقًا وغربًا ومن

أسباب معرفة شيخه هذا التلميذ الذي مات في الثلاثين من عمره، فكثيرٌ ممَّا يعرف شيخه الشيخ عبد الله القرعاوي، بسبب هذا التلميذ الذي ارتفع شيخه باسمه.

ولذلك دائما التلميذ قد يرفع الله عَزَّوَجَلَّ الشيخ باسم تلميذه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَجِبُ لِلْمُعَلِّمِينَ أَنْ يَقُولُوا لِمَا لَا يَعْلَمُونَهُ: اللهُ أَعْلَمْ**).

۞ **هذه مسألةٌ مهمةٌ جدًا** ومن اللَّطائفِ أن ممَّا رَوى الإمام أحمد عن الإمام الشافعي عن الإمام مالكٍ أن **مالكًا قال**: سمعت ابن عجلان يقول: «إذا أخطأَ العالم لا أعلم، فقد أُصيبت مقاتله».

هذه لطيفةٌ أن ثلاثةً من كبار أئمة المسلمين في الفقه روى هذا الأثر، كلٌ عن الآخر: «إذا أخطأَ العالم لا أدري فقد أُصيبتْ مقاتله»، يتعوَّد طالب العلم في بدايته كي يستمر عليها عند نهايته على كلمة لا أعلم، والله لا عيب، لا منقصة، لا غضاضة أن تقول لا أعلم.

ولذلك من أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمونه: «لا أعلم»، لا أعلم هذه تعوُّد الإنسان عليها نعمةٌ، ما عليك من ذاك الجاهل؛ الذي يقول: هذا لا يعلم الأحكام، دعه يقول ما يقول، بينك وبين الله عَزَّوَجَلَّ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَلَيْسَ هَذَا بِنَاقِصٍ لِأَقْدَارِهِمْ، بَلْ هَذَا مِمَّا يَزِيدُ قَدْرَهُمْ، وَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى دِينِهِمْ وَتَحَرِّيهِمْ لِلصَّوَابِ.**

وَفِي تَوَقُّفِهِ عَمَّا لَا يَعْلَمُهُ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ:

مِنْهَا: أَنَّ هَذَا هُوَ الوَاجِبُ عَلَيهِ.).

نعم يجب عليه ألّا يتكلَّم فيما ما لا يعلمه، وأن يَكِلَ علمه إلى الجبّار جَلَّوَعَلَا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا تَوَقَّفَ وَقَالَ: اللهُ أَعْلَمْ. فَمَا أَسْرَعَ أَنْ يَأْتِيهِ عِلْمُ ذَلِكَ، إِمَّا مِنْ مُرَاجَعَتِهِ أَوْ مُرَاجَعَةِ غَيْرِهِ، فَإِنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا رَأَى مُعَلِّمَهُ تَوَقَّفَ جَدَّ وَاجْتَهَدَ فِي تَحْصِيلِ عِلْمِهَا وَإِتْحَافِ الْمُعَلِّمِ بِهَا، فَمَا أَحْسَنَ هَذَا الأَثَرَ).

الله أكبر، هذا الكلام من أجمل الكلام؛ يعني: يقول الشيخ وأظنُّ هذا الكلام الذي خرج من الشيخ خرج عن تجربةٍ، فإنه معلِّمٌ ومتعلِّم كذلك، يقول الشيخ: إنَّ المسؤول إذا توقف قال لا أعلم مُعلما أو مفتيًا؛ قال: (فَمَا أَسْرَعَ أَنْ يَأْتِيهِ عِلْمُ ذَلِكَ)، (إِمَّا مِنْ مُرَاجَعَتِهِ)؛ هو يراجع بنفسه، وإما أن يكون هذا السائل قد يُراجع غيره من أهل العلم ويبحث فحينئذٍ تصل إليه المعلومة.

وهذه الكلمة ما تكلم بها المؤلّف إلا عن تجربةٍ، هذه كلمةٌ في غاية الصدق خرجت من قلب الشيخ تمامًا، ولا أعلم أنّ أحدًا سبق الشيخ إلى هذا الشيء إلَّا أن يكون وقف على ما لم وهو لا شك أنه متسع الاطلاع.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمِنْهَا: أَنَّهُ إِذَا تَوَقَّفَ عَمَّا لَا يَعْرِفُ كَانَ دَلِيلًا عَلَى ثِقَتِهِ وَإِتْقَانِهِ فِيمَا يَجْزِمُ بِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ، كَمَا أَنَّ مَنْ عُرِفَ مِنْهُ الإِقْدَامُ عَلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ؛ كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا لِلرَّيْبِ فِي كُلِّ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ، حَتَّى فِي الأُمُورِ الْوَاضِحَةِ).

هذا كلام جيدٌ، يقول: بعض النّاس قد يمتنع من قول: «لا أعلم» خشية أن يُقال إنّه لا علم عنده، يقول: بالعكس إنك إذا قلت «لا أعلم»؛ معناها أنَّ ما تكلمت فيه بعلمٍ وجزمت به يأخذ عنك المستمع رأيًا أنَّك تكلمت بعلمٍ لا بظنٍ وخرسٍ، بالعكس هذا أقوى وأوقع لكلامك في نفوس الناس من غيره، فإنّ هذا من مجازاتك بعكسٍ ما تظن إن تكلمت في شرع

الله عَزَّوَجَلَّ بغيره.

قال: مثل المُتكلِّم الذي يعرف أنه خطيبٌ يُحسن الكلام وصاحب عقلٍ، فهذا لا يتكلم إلا في الأماكن التي يحسُنُ فيها الكلام، ويسكت في المواضع التي يحسن فيها السكوت.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَمِنْهَا: أَنَّ المُعَلِّمَ إِذَا رَأَى مِنْهُ المُتَعَلِّمُونَ تَوَقُّفَهُ عَمَّا لا يَعْلَمُ؛ كَانَ ذَلِكَ تَعْلِيمًا لَهُمْ وَإِرْشَادًا إِلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الحَسَنَةِ، وَالِاقْتِدَاءُ بِالأَحْوَالِ وَالأَعْمَالِ أَبْلَغُ مِنَ الِاقْتِدَاءِ بِالأَقْوَالِ.**).

هذا مثلما ذكرتُ لكم عن الأئمة -قبل قليل- أنّ الأئمة كلهم نقلوا هذا الأثر، وكلُّهم رأى من شيخه هذا الشيء؛ وهو التوقف، ولذلك هذا من باب التأديب، والمعلم ينفع التلميذ ليس بمجرد العلم الذي يلقيه؛ بل يفيده أيضا بالسَّمت والأدب.

ولذلك كان بعض أهل العلم كما في مقدمة كتاب «الآداب» لابن مُفْلِح **أنّ بعض السلف قال**: «جالسنا فلانـًا فأخذنا من أدبه أكثر ممّا أخذنا من علمه»، فأحيانا الأدبُ يؤخذ من الشيخ من سمته وأدبه وتوقفه وورعِه ومراعاته تعظيم جانب الله عَزَّوَجَلَّ ما لا يُستفاد من العلم الذي يلقيه بلسانه.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(**وَمِمَّا يُعِينُ عَلَى هَذَا المَطْلُوبِ أَنْ يَفْتَحَ المُعَلِّم لِلْمُتَعَلِّمِينَ بَابَ المُنَاظَرَةِ فِي المَسَائِلِ وَالِاحْتِجَاجِ عَلَيْهَا**).

نعم يُعين على هذا المطلوب **وهو**: معرفة التوقف؛ لأن من عرف قول غيره وأدلته هو الذي يتوقف، **وقد قيل للميموني**: «أحمد لماذا يتوقف ويقول لا أدري؟»؛ **قال**: «لعلمه بالخلاف»؛ فكُلّما زاد علم المرءِ، كلما توقف وقال: «لا أدري».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى:

(وَأَنْ يَكُونَ القَصْدُ وَاحِدًا، وَهُوَ اِتِّبَاعُ مَا رَجَّحَتْهُ الحُجَّةُ وَالأَدِلَّةُ)

الله أكبر، نعم هذا القصد الذي قُلناه -قبل قليلٍ- في المُجادلة والمناظرة متى تكون مأجورًا عليها، وما عاداها يكون دائرًا بين المكروه والمُحرم ذكره ابن مفلح في كتاب «الأصول».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَإِنَّهُ إِذَا جعَلَ هَذَا الأَمْرَ نَصْبَ عَيْنَيْهِ وَأَعْيُنِهِمْ تَنَوَّرَتِ الأَفْكَارُ، وَعُرِفَتِ الْمَآخِذُ وَالْبَرَاهِينُ، وَاتُّبِعَتِ الحَقَائِقُ، وَكَانَ القَصْدُ الأَصْلِيُّ وَتَوَابِعُهُ مَعْرِفَةُ الحَقِّ وَاِتِبَاعُهُ.

وَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنَ التَّعَصُّبِ لِلْأَقْوَالِ وَالْقَائِلِينَ؛ وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ الْقَصْدَ مِنَ الْمُنَاظَرَةِ نَصْرَ الْقَوْلِ الَّذِي قَالَهُ أَوْ قَالَهُ مَنْ يُعَظِّمُهُ، فَإِنَّ التَّعَصُّبَ مُذْهِبٌ لِلْإِخْلَاصِ، مُزِيلٌ لِبَهْجَةِ العِلْمِ، مُعْمٍ لِلْحَقَائِقِ، فَاتِحٌ لِأَبْوَابِ الخِصَامِ وَالحِقْدِ، كَمَا أَنَّ الإِنْصَافَ هُوَ زِينَةُ العِلْمِ، وَعُنْوَانُ الإِخْلَاصِ وَالنُّصْحِ وَالفَلَاحِ).

❁ **هذه المسألة مهمةٌ** أشرت إليها قَبْلُ وتكلم عنها لم يكن في ذهني أن المصنف سيتكلم عنها؛ وهي قضية التعصب للأقوال عند المناظرة.

ذكرت لكم قبلُ أن هذا التعصب عند المناظرة في المسائل الاجتهادية التي يصوغ فيها الاجتهاد، ويُقبل فيها الخلاف فيكون صائغـًا؛ أن التعصب للأقوال فيها عند المناظرة بقصد الغلبةِ والعلو أنه يجعل الجِدال إما مكروهًا أو محرمـًا، قد يكون مُحرمـًا لأجل ذلك، وبذلك تحمل الأحاديث الواردة في النهي عن الجدال «وَلَوْ كُنْتَ مُحِقـًا».

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلِيَحْذَرْ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ لِلأَغْرَاضِ الفَاسِدَةِ وَالمَقَاصِدِ السَّيِئَةِ).

نعم هذه المقاصد السيئة، غيرُ المقصد تعليم الناس ونفي الجهل عن الناس.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلْيَحْذَرْ مِنْ طَلَبِ العِلْمِ لِلأَغْرَاضِ الفَاسِدَةِ وَالمَقَاصِدِ السَّيِّئَةِ؛ مِنَ المُبَاهَاةِ وَالمُمَارَاةِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ).

- **(المباهاة)**: أن يباهي عند الناس بكثرة محفوظه وطلاقة لسانه.
- **(والمُماراة)**: المناظرة **يعني**: أن يكلم النَّاس في الممارات فيُماريهم في العلم.
- **(والرياء)**: لكي يرو مكانه.
- و**(السُمعة)**: والتسميع لكي يسمعوا به.

ولذلك يقول الشافعي وهو من أئمة الدين -ولا شك- -عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ-: «ودِدت أن هذا العلم بُثَ بين الناس»، هو يريد أن عِلمه يبُثُّ بين النّاس؛ «ولم ينسب لي منه حرفٌ».

هذه الكلمة جميلةٌ اجعلها بين عينك دائمًا، بُث بين الناس، العلم الذي عندك يُبث بين الناس لكن احرص غاية حرصك ألّا يكون اسمك هو القصد، ليُقال: فلانٌ، قال ليُقال: فلان كتب، ليُقال: فلان فعل، درَّس وهكذا، لكن لا تنقطع عن بث العلم، نعم الوسيلة لابد أن يكون هناك اسمك؛ «لأنّ هذا العلم دينٌ» فلابد أن يُأخذ من معروفٍ ولا يجوز أخذه من المجاهيل لا روايةً ولا درايةً.

معروفٌ -يا شيخ- وهذا حتَّى في الفقه الكتبُ المجهولة لا تُقبل.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَسِيلَةً إِلَى الأَغْرَاضِ الدُّنْيَوِيَةِ وَالرِّئَاسَةِ، فَلَيْسَتْ هَذِهِ حَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ فِي الْحَقِيقَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ وَاسْتَعْمَلَهُ فِي أَغْرَاضِهِ السَّيِّئَةِ أَوْ رِيَاءً أَوْ سُمْعَةً فَلَيْسَ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ).

الله أكبر، أوّل من تُسعر بهم النار ثلاثة:

رجلٌ قرأ القرآن ليُقال عالمٌ.

وَعَـــالِمٌ بِعِلْمِـــهِ لَـــمْ يَعْمَلَـــنْ مُعَـذَّبٌ فِـي النَّـارِ قَبْـلَ عُبَّـادِ الـوَثَنْ

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ السلامة.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يَتَعَيَّنُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ الِاتِّصَافُ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ العِلْمِ مِنْ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالتَّعْلِيمِ، فَهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِالِاتِصَافِ بِالأَخْلَاقِ الجَمِيلَةِ، وَالتَّخَلِي مِنْ كُلِّ خُلُقٍ رَذِيلٍ، وَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالقِيَامِ بِالوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ وَتَرْكِ المُحَرَّمَاتِ، لِمَا تَمَيَّزُوا بِهِ مِنَ العِلْمِ وَالمَعَارِفِ، التِّي لَمْ تَحْصُلْ لِغَيْرِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ قُدْوَةُ النَّاسِ فِي أُمُورِهِمْ وَلِأَنَّهُ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِمْ مِنَ الِاعْتِرَاضِ وَالْقَوَادِحِ عِنْدَمَا يَتْرُكُونَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْعِلْمُ أَعْظَمُ مِمَّا يَتَطَرَّقَ إِلَى غَيْرِهِمْ**).

هذا البابٌ عظيمٌ جدًا؛ وهو قضية أن أهل العلم يجب عليهم ما لا يجب على غيرهم، وعندما **نقول أهل العلم يُنظر فيه لأمرين:**

لنظر الله إليك.

والأمر الثاني لما في قلبك وما وعاه قلبك من العلم، أما ما وعاه قلبك، فكلُّ إنسان يعلم أنه قد تعلم العلم.

وأما نظر الناس إليك، فإذا نظر الناس إليك أو قد نُسبت للعلم كنت إمام مسجدٍ، مؤذن مسجدٍ؛ لبسة هيئة أهل العلم، أنت نسبة نفسك؛ الناس تنظر إليك قد لا تكون من أهله لكن نظرت لهم، يجب عليك أن تتقي الله عَزَّوَجَلَّ فإن الناس ينظرون لأهل العلم ما لا يرون لغيرهم، فالصغائر عندهم كبائر عند غيرهم، اللّفظة التي تقولها تُحسب عليك ما لا يُحسب

على غيرك.

إذن: ما دُمت قد نُسبت إلى العلم بما أعطاك الله عَزَّوَجَلَّ أو بما وضعك الناس فيه وأنت لا تعلم، فاتقي الله عَزَّوَجَلَّ اتقي الله عَزَّوَجَلَّ، فيجب أن تأتي ليس بالواجبات؛ بل بكثيرٍ من المندوبات، ولذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما دخل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسجد متأخرًا في أثناء الخُطبة وعثمان من كبار الصحابة؛ بل هو أكبرهم بعد أبي بكر وعمر أنكر عليه تأخره، وأنكر عليه ثانيًا: عدم اغتساله للجُمُعة حيث فوت مندوبينِ، ولذلك أهل العلم يُندب لهم ما لا يندب لغيرهم.

ولذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:** «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولِى الْأَحْلَامِ والنُهَى**».

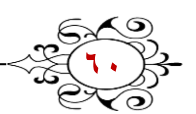
أي: في الصلاة فالأولى والأحرى والأجدر بأن يكون أقرب للإمام هم أهل العلم، والنُّهى **أي:** العقل، والعقل إنما هو ملازمٌ للعلم.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**وَأَيْضًا فَكَانَ السَّلَفُ يَسْتَعِينُونَ بِالْعَمَلِ عَلَى الْعِلْمِ؛ فَإِنْ عُمِلَ بِهِ اِسْتَقَرَّ وَدَامَ وَكَثُرَتْ بَرَكَتُهُ، وَإِنَّ تُرِكَ الْعَمَلُ بِهِ ذَهَبَ أَوْ عُدِمَتْ بَرَكَتُهُ، فَرَوْحُ الْعِلْمِ وَحَيَاتُهُ وَقَوَامُهُ إِنَّمَا هُوَ بِالقِيَامَ بِهِ عَمَلًا وَتَخَلُّقًا وَتَعْلِيمًا وَنُصْحًا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**).

يعني كلام الشيخ لا مزيد عليه، لا يمكن أن يُزاد على كلام الشيخ شيءٌ، **ولكني سأقف مع ختم الشيخ في قوله:** (**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**)، هذه اللّفظة من ألفاظ الاستعانة يستعين بها العبد على الأمر، فكأن المصنف لما قال هذه الكلمة **قال:** ولا يمكن لمن نُسِبَ للعلم أن يكون كذلك إلا بحول وقوة من الله عَزَّوَجَلَّ، ولذا دائمًا استعد بالله: «**اللّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»، هَذَا يدعو به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأنت دائمًا استعن بالله، اسأل الله عَزَّوَجَلَّ الإعانة في العلم، الإعانة على العمل، صلاح



العمل وهكذا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَنْبَغِي سُلُوكُ الطَّرِيقِ النَّافِعِ عِنْدَ البَحْثِ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيمًا، فَإِذَا شَرَعَ المُعَلِّمُ فِي مَسْأَلَةٍ وَضَّحَهَا وَأَوْصَلَهَا إِلَى أَفْهَامِ المُتَعَلِّمِينَ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنَ التَّعْبِيرِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَالتَّصْوِيرِ وَالتَّحْرِيرِ، ثُمَّ لَا يَنْتَقِلُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا قَبْلَ تَحَقُّقِهَا وَتَفْهِيمِهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ، وَلَا يَدَعُ المُتَعَلِّمِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ المَوْضُوعِ الذِي لَمْ يَتِمَّ تَقْرِيرُهُ إِلَى مَوْضُوعٍ آخَرَ حَتَّى يُحْكِمُوهُ وَيَفْهَمُوهُ، فَإِنَّ الخُرُوجَ مِنَ المَوْضُوعِ إِلَى غَيْرِهِ قَبْلَ الِانْتِهَاءِ مِنْهُ يُشَوِّشُ الذِّهْنَ، وَيَحْرِمُ الفَائِدَةَ وَيَخْلِطُ المَسَائِلَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ).

نعم هذا الكلام جميلٌ جدًا ينصح فيه المعلم في طريقة تعليمه للطلاب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَيَنْبَغِي تَعَاهُدُ مَحْفُوظَاتِ المُتَعَلِّمِينَ وَمَعْلُومَاتِهِمْ بالإِعَادَةِ وَالِامْتِحَانِ، وَالحَثِّ عَلَى المُذَاكَرَةِ وَالمُرَاجَعَةِ وَتَكْرَارِ الدَّرْسِ، فَإِنَّ التَعَلُّمَ بِمَنْزِلَةِ الْغَرْسِ لِلْأَشْجَارِ، وَالدَّرْسُ وَالمُذَاكَرَةُ وَالإِعَادَةُ بِمَنْزِلَةِ السَّقْيِ لَهَا وَإِزَالَةِ الأَشْيَاءِ المُضِرَّةِ لِتَنْمُو وَتَزْدَادَ عَلَى الدَّوَامِ).

يقول الشيخ: يجب معاهدة المحفوظات، المحفوظ دائمًا يُنسى، ولابد من معاهدته، ولكن أريدك أن تفرق بين حفظك لكلام الله وكلام رسوله، وكلام غيره من كلام البشر.

فأمّا كلام الله عَزَّوَجَلَّ فإنّه لا يجوز فيه الزيادة ولا النقصان حتى في حركة، وأمّا كلام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنّ الكمال الإتيان بِهِ على وجههِ ويجوز روايته بالمعنى، ولذلك فإن كلام الله تعالى وكلام رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليس كحفظ غيره من المتون.

أما غيره من المتون؛ فإنك إن أخطأت في عبارةٍ أو بدّلت جملة بجملة فلا ضير في ذلك ولا نقص، ولا يلزم أن تحفظه حفظ القرآن ولا أن تُراجعه مراجعة القرآن، وإنما حفظ

المتون لأجل الاستظهار فحسب.

ولذلك العلماء رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى يستحبون من المتون ما كان مليئًا بالنّصوص، فعلى سبيل المثال كتاب «التوحيد» و«الواسطية» فإنّها لا يكاد يوجد فيها إلا نصٌ، وأما كتب الفقه فمن أحسن المتون الفقهية التي مُلئت بالنصوص، وأنا أقول المتون ولا أقول المطوَّلات وهو كتاب «منهج السالكين» للمُؤلف؛ فإن كتاب للمؤلف «منهج السالكين» ذكر محققه أن فيه نحوًا من أربعمئة آيةٍ وحديث على صغر حجمه، فمن حفظ هذا المتن فقد حفظ نحوًا من أربعمئة آية وحديث، وهذا فضلٌ وفق الله عَزَّوَجَلَّ مُؤلفه لأجل ذلك.

فالمتون التي فيها آياتٌ وأحاديث هذه أجود في الحفظ وأنفع، وأمّا ما عداه من المتون المهم أنك تستظهر المتن.

وقد كان طريقة بعض أهل العلم أن يحفظوا المنظوم؛ لأن المنظوم استرجاعه سهلٌ وبعضه يذكر بعضًا، بخلاف المنثور فإنّك قد تنسى.

ففائدة المنظوم الاسترجاع، وأما المنثور فهو أدق؛ حفظ المنثور أدق، وحفظ المنظوم أسهل من جهة الحفظ لا من جهة الفهم، ومن جهة سهولة ثبات الذهن عند الاسترجاع.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَكَمَا أَنَّ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ تَوْقِيرَ مُعَلِّمِهِ وَالأَدَبَ مَعَهُ، فَكَذَلِكَ أَقْرَانَهُ فِي التَّعَلُّمِ مَعَهُ؛ عَلَيْهِ تَوْقِيرُهُمْ وَاحْتِرَامُهُمْ. فَالصُّحْبَةُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ تَجْمَعُ حُقُوقًا كَثِيرَةً؛ لِأَنَّ لَهُمْ حَقَّ الأُخُوَّةِ وَالصُّحْبَةِ، وَحَقَّ الِاحْتِرَامِ لِمَا قَامُوا بِهِ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِمَا يَنْفَعُهُمْ وَيَنْفَعُ النَّاسَ؛ وَهُوَ الِانْتِمَاءُ إِلَى مُعَلِّمِهِمْ، وَأَنَّهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِهِ، وَحَقَّ نَفْعِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا).

نعم هذا الكلام في الصُحبة قد يكون هذا الحق بين الصُحبة في أثناء التعلّم، وقد يكون بعده، وهذه الرّسالة أرسلها الشيخ لبعض تلاميذه الذين قرؤوا عليه ثم تغربوا ونأوا عنه

وانتقلوا إلى مكة، فهذه الرّسالة فقال: إن هؤلاء الصُحبة الذين كنت تجالسهم في حداثة سنك وشرخ شبابك، واشتركت معهم في معلمٍ واحدٍ، واشتركت معهم في تحصيل العلم يجب أن تستمر صُحبتك لهم، ومن أطيب الصُحبة، الصحبة التي كانت على خيرٍ، وأفضل الخير على الإطلاق العلمُ.

أفضل الصُحبة صحبة العلم الذي اشتركت معه في حلقة تحفظون القرآن، أو في حلقة حفظ سنة وتعلمها، أو في حلقة فقه أو غير ذلك، هذه الصُحبة إنما اجتمعتم في علمٍ وإنّما اِلتقيتم على خيرٍ ليس بينكم دينارٌ ولا درهمٌ، وليس بينكم وشاجةُ رحمٍ، وإنّما جمع بينكم العلم فأصبح هذا الرحم بين هؤلاء، فإذا اجتمعوا ولو بعد عشرات السنين فإنَّ اجتماعه بهم تذكر لِما نسوه من العلم، وتذكرٌ لما يحن عليه المرء بطبعه لما كان عليه في أول حياته كما ذكر ذلك أبو حيان التوحيدي في كتابه «تهذيب الأخلاق»، وأمر ثالثٌ أنَّ اجتماعك بأصحابك عند شيخك، فيه ذكر لشيخك.

وهذا ملاحظٌ إذا اجتمعت عند تلاميذ شيخك الفلاني رحم الله الشيخ، تذكرون درسه الله لما كان في الحرام كان يقول: كذا وكذا وكذا، فأحيانا عندما تتذكر الشيخ في درسه وماذا كان يقول بين فائدةٍ علميةٍ ونكتة ومقولةٍ وشيءٍ أنت أحييت ذكره وتُرحِّمَ عليه.

ولذلك جاء في قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ اِبْنُ آدَم اِنْقَطَعَ عَمَلهُ إِلاَ مِنْ ثَلَاث وَمِنْهَا وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**». لمَ خص الولد؟

قالوا فيها نكتة: لأن الولد إذا رُئِي دُعي للأب، فإذا رآك الذي يعرف أباك؛ فلان -رحم الله أباه-، لأنه يعرف أباك وهو صاحب لك، كذلك أبوة العلم إذا رُئي تلميذ ذلك الشيخ ممن عرفته عند ذلك الشيخ فأول حديث بينكم عن الشيخ.

وأعرف من كان شيخه توفي في التسعينات الهجرية من قبل أربعين سنة؛ إذا اجتمعوا الآن

يذكرون اسم الشيخ، ويذكرون أخباره ويترحمون عليه، ونفس الكلام الذي يُقال اليوم بعد لقائهم بعد شهر يُقال نفس الخبر، ويذكر الشيخ ويترحم عليه نفس القصص تتكرر جلست معهم أربع مرات، ويكررون قصة سمعتها عشر مرات أو أربع مرات.

لكن يذكرونه ويدعون له ولذلك هذا كلام الشيخ كلام لتلميذه قلت لك الشيخ هذه الرسالة كتبها من قلبٍ لمن يُحب.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(**وَلِهَذَا يَنْبَغِي أَلَّا يَدَعَ مُمْكِنًا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْعِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى نَفْعِهِ مِنْهُمْ مِنْ تَعْلِيمِهِ مَا يَجْهَلُ، وَالبَحْثِ مَعَهُ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى الخَيْرِ وَإِرْشَادِهِ لِمَا فِيهِ نَفْعُهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اِجْتِمَاعُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ غَنِيمَةً يَتَعَلَّمُ فِيهِ القَاصِرُ مِمَّنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَيُعَلِّمُ العَارِفُ غَيْرَ العَارِفِ، وَيَتَطَارَحُونَ المَسَائِلَ النَّافِعَةَ، وَلْيَجْعَلُوا هَمَّهُمْ مَقْصُورًا عَلَى مَا هُمْ بِصَدَدِهِ، وَلْيَحْذَرُوا مِنْ الاِشْتِغَالِ بِالنَّاسِ وَالتَّفْتِيشِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَالْعَيْبِ لَهُمْ، فَإِنَّهُ إِثْمٌ حَاضِرٌ**).

نعم هذا الكلام لو جُعِلَ لنا في أول حديثنا لأظن لجلسنا العصر في شرحه، وهو كيف يكون مجالس طلبة العلم هذا موضوع مهم ورَحِمَ اللهُ الشيخ فقد نصح، ولكنّ الوقت أوشك ما بقي إلا ربع ساعة للأذان.

ولكن سأقف مع كلمة وهي: قول الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى: (**وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اِجْتِمَاعُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ غَنِيمَةً يَتَعَلَّمُ فِيهِ القَاصِرُ مِمَّنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ، وَيُعَلِّمُ العَارِفُ غَيْرَ العَارِفِ**).

أي: العلم النسبي، قد أعلم ما لا تعلم وتعلم ما لا أعلم، (**وَيَتَطَارَحُونَ المَسَائِلَ النَّافِعَةَ، وَلْيَجْعَلُوا هَمَّهُمْ مَقْصُورًا عَلَى مَا هُمْ بِصَدَدِهِ، وَلْيَحْذَرُوا مِنْ الاِشْتِغَالِ بِالنَّاسِ وَالتَّفْتِيشِ عَنْ أَحْوَالِهِمْ وَالْعَيْبِ لَهُمْ، فَإِنَّهُ إِثْمٌ حَاضِرٌ**).

طالب العلم ليس عليهم الناس لا أفرادهم ولا جماعاتهم؛ فإنّه يجب أن ينشغل بالعلم

وأنـا أقـول لا بجماعـاتهم، لأن ابـن مُفلـح ذكـر في «الآداب الشـرعية» أن النّـاس يتسـاهلون ويقصد بالناس طلبة العلم يتساهلون في غيبة شخصين أحدهم العلماء، فكأن غيبة العلماء عندهم سهلةٌ؛ الشيخ فلانٌ عمل كذا، قال كذا، فيتسامحون في غيبة العلماء، والثانية قال: الأُمراء وهم الولاة فكثيرٌ من الناس ديْدنه في مجالسه الحديث في الوُلاة، قال فلانٌ، فعل فلانٌ، عزل فلانٌ، نزل فلان، وليس كلامه بنافعِ الناس شيئا؛ بل إنك تؤثم على هذا الوَقِيعة في هاتين الطائفتين كما تُؤْثَمُ في الوقيعة في غيرهم من الناس.

وإن كان طلبة العلم يتفكهون في مجالسهم في الوقيعة في هاذين الإثنين، وهذا الكلام ليس من أهل عصرنا قلت لكم ابن مُفْلِح وهو من طلاب الشيخ تقي الدين، نقله عمّن قبله ولو راجعت «الآداب» لوجدت النقل بنصه أدق مما ذكرت لك.

فالمقصود أن الإنسان يجب أن ينشغل بالعلم ومن انشغل بالعلم وجد مغبَّته فيما بعد أمامه؛ حينما يأتي الصباح فيُحمد حينئذٍ السُرى في الليل «وعند الصّباح يُحْمَدُ السُرى»، فمن سرى في اللّيل الناس نائمون منشغلون يتفكّهون، وهو منشغل بالعلم إذا أصبح وبلغ وبعد ذلك وجد أنّه قد سبق الناس بمراحل، فهذا الوقت وقت غنيمةٍ طالب العلم ينشغل بالعلم ما عليك بالناس، ما عليك فيما ينفعك؟ في خاصة في نفسك وفي علمك، خاصة نفسك: أهلك وبيتك والعلم ما ليس لك فيه نفعٌ وليس لك مصلحةٌ فدعه ما لك دخلٌ فيه اتركه لأهله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالْمَعْصِيَةُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ).

لا شكّ؛ معلماً أو متعلِّماً.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَالْمَعْصِيَةُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهِمْ، لِأَنَّ الحُجَّةَ عَلَيْهِمْ أَقْوَمُ، وَلِأَنَّ غَيْرَهُمْ يَقْتَدِي بِهِمْ، وَمَنْ كَانَ طَبْعُهُ الشَّرُّ مِنْ غَيْرِهِمْ جَعَلَهُمْ حُجةً لَهُ).

نعم صحيح كثيرٌ من الناس يقول: لأني رأيت فلانًا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَلِأَنَّ الِاشْتِغَالَ بِالنَّاسِ يُضَيِّعُ الْمَصالِحَ النَّافِعَةَ وَالوَقْتَ النَّفِيسَ وَيُذْهِبُ بَهْجَةَ العِلْمِ وَنُورَهُ).

نعم صدقت.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَاعْلَمْ أَنَّ القَنَاعَةَ بِاليَسِيرِ مِنَ الرِّزْقِ وَالِاقْتِصَادَ فِي أَمْرِ المَعِيشَةِ مَطْلُوبٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، لَا سِيَّمَا الْمُشْتَغِلُونَ بِالعِلْمِ، فَإِنَّهُ كَالمُتَعَيِّنِ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّ العِلْمَ وَظِيفَةُ العُمْرِ كُلِهِ أَوْ مُعْظَمِهِ، فَمَتَى زَاحَمَتْهُ الأَشْغَالُ الدُّنْيَوِيَّةُ وَالضَّرُورِيَاتُ حَصَلَ النَّقْصُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَالِاقْتِصَادُ وَالقَنَاعَةُ مِنْ أَكْبَرِ العَوَامِلِ لِخَصْرِ الأَشْغَالِ الدُّنْيَوِيَةِ وَإِقْبَالُ المُتَعَلِّمِ عَلَى مَا هُوَ بِصَدَدِهِ).

نعم كلام الشيخ هنا في قضية غنى طالب العلم، طالب العلم لابد أن يكون له مالٌ وكلام أهل العلم كسفيان وغيره في قضية أنّ طالب العلم يجب أن يكون له حرفةٌ أو مالٌ يتكفَّف به عن الناس مهمٌ جدًا، ولكن أن ينشغل طالب العلم مبتدئًا أو منتهيًا بالمال ومكاثرته هذا يذهب العلم بهجته ونوره، ويكون سببًا لانشغاله عن العلم.

ولذلك طالب العلم يحرص على القناعة فإن كان ذا وظيفةٍ، وقد كفت الوظيفة حاجته -فالحمد لله- والحاجات تختلف باختلاف الأشخاص وباختلاف البلدان، فمُكاثرة الأموال وخاصةً في التجارة لا تجتمع مع العلم، لكن لابد مع العلم من الكسب وألّا يكون المرء عالةً

على غيره يسألهم، «وَاليَدُ العُلْيَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنَ اليَدِ الدُّنْيَا».

فالانشغال بالكسب جيدٌ لكن لا تُكاثر المال؛ لا تكاثر المال ليس مناسبًا أن طالب العلم يُزاحم الناس في المُكاثرة، لا أقول في البيع والشراء؛ بل هو مستحبٌ؛ لأن أبى بكر كان بزازًا والصحابة كانوا تُجارًا، ولكنّ المكاثرة هذا هو الذي لا يناسب طالب العلم بالخصوص.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمِنْ آدَابِ العَالِمِ وَالمُتَعَلِّمِ النُّصْحُ وَبَثُّ العُلُومِ النَّافِعَةِ بِحَسْبِ الإِمْكَانِ، حَتَّى لَوْ تَعَلَّمَ الإِنْسَانُ مَسْأَلَةً وَبَثَّهَا كَانَ ذَلِك مِنْ بَرَكَةِ العِلْمِ، وَلِأَنَّ ثَمَرَاتِ العِلْمِ أَنْ يَأْخُذَهُ النَّاسُ عَنْكَ، فَمَنْ شَحَّ بِعِلْمِهِ مَاتَ عِلْمُهُ بِمَوْتِهِ، وَرُبَّمَا نَسِيَهُ وَهُوَ حَيٌّ، كَمَا أَنَّ مَنْ بَثَّ عِلْمَهُ كَانَ لَهُ حَيَاةً ثَانِيَةٌ وَحِفْظًا لِمَا عَلِمَهُ، وَجَزَاهُ اللهُ بِحَسَبِ عَمَلِهِ).

نعم؛ تقدّم الإشارة إلى هذا المعنى.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَمِنْ أَهَمِّ مَا يَتَعَيَّنُ السَّعْيُ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ وَتَأْلِيفُ القُلُوبِ عَلَى ذَلِكَ، وَحَسْمِ أَسْبَابِ الشَّرِ وَالعَدَاوَةِ وَالبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَأَنْ يَجْعَلُوا هَذَا الأَمْرَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَغَايَةً يَسْعَوْنَ إِلَيْهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ؛ لِأَنَّ المَطْلُوبَ وَاحِدٌ وَالقَصْدَ وَاحِدٌ، وَالمَصْلَحَةَ مُشْتَرَكَةٌ، فَيُحَقِّقُونَ هَذَا الأَمْرَ بِمَحَبَّةِ كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ).

يقول الشيخ: هذه نصيحة لطلبة العلم أن يجتمعوا ولا يفترقوا، ويتركوا حظوظ الدنيا عنهم، لأن اجتماع طلبة العلم بالخصوص سببٌ للانتفاع، لأنه إذا كان بينهم غضاضةٌ وبينهم نزاعٌ لم ينتفع أحدهم من الآخر، ولا ربّما يعنى كان سببًا لانقباض بعضهم من البعض.

وقد جُبِلت النُّفوس على المُشاحة أولًا، وعلى أن من اشترك مع غيره في أمرٍ؛ فإنَّه يُنافسه

فيه، وقد جاء عن بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ **أنه قال** أو ذكر كما نقل ابن عبد البر: «أنّ طلبة العلم أشدُ تحاسُدًا من التُيُوس في زرابها».

فهذا يرِد ولكنّ هذا الوُرود لابد من تخفيفه بجمع الكلمة، وهضم النّفس، وإكرام الغير والإحسان إليهم وغير ذلك مما ذكره المُصنف.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ:

(فَيُحَقِّقُونَ هَذَا الأَمْرَ بِمَحَبَةِ كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَمَنْ لَهُ قَدَمٌ فِيهِ أَوْ اِشْتِغَالٌ أَوْ نَفْعٌ، وَلَا يَدَعُونَ الأَغْرَاضَ الفَاسِدَةَ تَمْلِكُهُمْ وَتَمْنَعُهُمْ مِنْ هَـذَا المَطْلُوبِ الجَلِيلِ، فَيُحِبُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَذُبُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَيَبْذُلُونَ النَّصِيحَةَ لِمَنْ رَأَوْهُ مُنْحَرِفًا عَنْ الآخَرِ، وَيُبَرْهِنُونَ عَلَى أَنَّ الأُمُورَ الجُزْئِيَةَ التِّي تَدْعُو إِلَى ضِدِّ المَحَبَّةِ وَالِائْتِلَافِ لَا تُقَدَّمُ عَلَى الأُصُولِ الكُلِّيَةِ التِّي فِيهَا جَمْعُ الكَلِمَةِ).

نعم الأمور الجزئية هي المشاكل التي صارت؛ ومنها الاختلاف في بعض المسائل؛ لا تُقدَّمُ على الأصول الكُليّةِ ومنها جمع الكلمةِ.

قال رَحِمَهُٱللَّهُ:

(وَلَا يَدَعُونُ أَعْدَاءَ العِلْمِ مِنَ العَوَامِ وَغَيْرِهِمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ إِفْسَادِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ وَتَفْرِيقِ كَلِمَتِهِمْ، فَإِنَّ فِي تَحْقِيقِ هَذَا المَقْصِدِ الجَلِيلِ وَالقِيَامِ بِهِ مِنَ المَنَافِعِ وَالمَصَالِحِ مَا لَا يُحْصَى، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا أَنَّ هَذَا هُوَ الدِّينُ الذِّي حَثَّ الشَارِعُ عَلَيْهِ بِكُلِ طَرِيقٍ.

وَأَعْظَمُ مَنْ يَلْزَمُهُ القِيَامُ بِهِ أَهْلُهُ، وَلِأَنَّهُ مْنَ أَعْظَمِ الأَدِلَّةِ عَلَى النُّصْحِ وَالإِخْلَاصِ اللَّذَيْنِ هُمَا قُطْبُ الدِّين وَرُوحُهُ، وَإِنَّ هَذَا الوَصْفَ يَتَّصِفُ العَبْدُ بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهُ الَّذِينَ وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَةِ مِنْ مَدْحِهِمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيهِمْ مَا لَا يَتَّسِعُ هَذَا المَوْضِعُ لِذِكْرِهِ.

وَفِيهِ مِنْ تَكْثِيرِ الْعِلْمِ وَتَوسِعَةِ الوُصُولِ إِلَيهِ وَتَنَوُّعِ طُرُقِهِ مَا هُوَ مُشَاهَدٌ، فَإِنَّ أَهْلَ العِلْمِ إِذَا كَانَتْ

طَرِيقَتُهُم وَاحِدَةً تَمَكَّنَ أَنْ يَتَعَلَّمَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيُعَلِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مُنْزَوِيَةً عَنِ الأُخْرَى مُنْحَرِفَةً عَنْهَا انْقَطَعَتِ الفَائِدَةُ وَحَلَّ مَحَلَّهَا ضِدُّهَا، وَحَصَلَ التَّعَصُّبُ وَالبُغْضُ وَالتَّفْتِيشُ عَنْ عُيُوبِ الطَّائِفَةِ الأُخْرَى وَأَغْلَاطِهَا، وَكُلُّ هَذَا مُنَافٍ لِلدِّينِ وَالعَقْلِ، وَلِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَى أَهْلِ العِلْمِ، وَلِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

فَالمُوَفَّقُ تَجِدُهُ نَاصِحًا للهِ بِتَوْحِيدِهِ وَالقِيَامِ بِعُبُودِيَتِهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بِإِخْلَاصٍ وَاحْتِسَابٍ وَتَكْمِيلٍ لَهَا بِحَسَبِ وُسْعِهِ، نَاصِحًا لِكِتَابِ اللهِ بِالإِيمَانِ بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيهِ، وَالإِقْبَالُ عَلَى تَعَلُّمِهِ وَتَعَلُّمِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَيَتَفَرَّعُ عَنْهُ مِنْ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا، نَاصِحًا لِرَسُولِهِ بِالإِيمَانِ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ وَتَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ عَلَى كُلِّ مَحَبَّةٍ بَعْدَ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى، وَتَحْقِيقِ مُتَابَعَتِهِ فِي شَرَائِعِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، نَاصِحًا لِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلَاتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ وَرُؤَسَائِهِمْ فِي مَحَبَّةِ الخَيْرِ لَهُمْ وَالسَّعْيِ فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَيْهِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَمَحَبَّةِ اجْتِمَاعِ الرَّعِيَّةِ عَلَى طَاعَتِهِمْ وَعَدَمِ مُخَالَفَتِهِمْ الضَّارَةِ، نَاصِحًا لِعَامَّةِ المُسْلِمِينَ، يُحِبُّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ، وَيُصَدِّقُ ظَاهِرَهُ بَاطِنَهُ، وَأَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ، وَيَدْعُو إِلَى هَذَا الأَصْلِ القَوِيمِ وَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ.

فَنَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ أَنْ يَرْزُقَنَا حُبَّهُ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّهُ، وَحُبَّ العَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنَا إِلَى حُبِّهِ، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الوَهَّابُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ).

هنا ختم المُصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى الرسالة، وفي آخرها كانت النّصيحة في الاجتماع بين طلبة العلم وعدم افتراقهم.

ورُبّما -لا أعلم- لكن رُبما كان الشيخ اطلع في حال المُرسل إليه هذه الرسالة؛ منازعةً ومشاقةً بينه وبين بعض أقرانه وزملائه؛ الذين كان بينه وبينهم اجتماع في أوّل حياتهم.

والشيخ أطال في هذه الجزئية الأخيرة كما مرّ معنا فأغنى تفصيلهُ وإسهابه فيها عن الشرح، أو عن حل ألفاظها لأن كلامه كاف ووافٍ بالغرض.

ونكون بذلك بحمد الله عَزَّوَجَلَّ أنهينا هذه الرسالة اللَّطيفة؛ والتي فيها من المعاني الحقيقة الجليلة.

وقد ذكرت لكم في أوّلها أنها صدرت من قلب الشيخ واضحةً لمن أحبّه الشيخ، ولعلنا ندعو لأخينا أبو تركي جزاه الله خيرًا هو الذي دلّنا على هذه الرسالة، وإلّا فإني قبل هذا اليوم لأني لم أقرأ هذه الرسالة إلّا هذا اليوم؛ كنت غافلا عن هذه الرسالة، وميزتها وجودتها فجزا الله الأخ الفاضل لاختياره هذه الرسالة.

وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يرزقنا العلم النّافع والعمل الصالح، وأن يتولانا بهُداه وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات.

وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يرحم ضَعفنا، وأن يجْبُر كسرنا ويُجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

أسأله جَلَّوَعَلَا أن يرزقنا علمـًا نافعـًا وقلبـًا خاشعـًا وأعينـًا دامعةً، وأن يعيننا على ذكرهِ وشكره وحسن عبادته.

وأسأله جَلَّوَعَلَا أن يرحم والدينا وأن يغفر لهما، وأن يتجاوز عنهما خطأهما وزلَلَهما وأن يجمعنا بهما وأشياخنا في جنّات النعيم مع النبّيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقـًا، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تَمَّ إِقْرَاءُ الكتاب فِي مجلسٍ واحدٍ

بعد عصر السّبت في السابع والعشرين من شهر الله المحرم

سَنَةَ ثلاثٍ وأربعين بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بمسجد سعيد بن زيد بحي الأندلس بالخرج



فوائد